ماذا بقي من 24 فيفري؟

ص 24



www.elmouharrir.com

المحرر تنتظر مساهماتكم

راسلونا على عناوين الجريدة

el-mouharrir@hotmail.com

ISSN 1112-8844

العدد 19 – من 1 إلى 15 مارس 2009م الموافق لـ 5 إلى 19 ربيع الأول 1430هـ - السنة الأولى - الثمن 20 د.ج

أسماء تريد منافسة بوتفليقة في الرئاسيات

مترشحون.. أم قائمون بمهام؟

ص4







المعارضة شريك السلطة في اغتيال السياسة

ص5

دولي

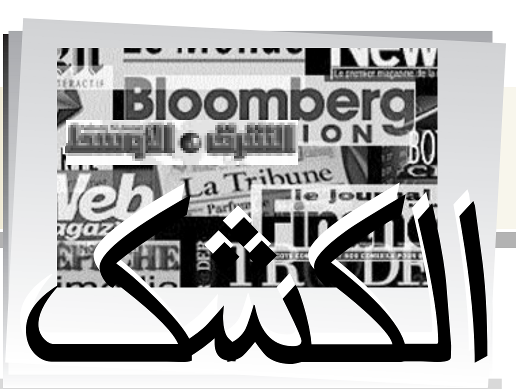
ماذا بقي من الجامعة العربية؟

ص8

اقتصاد

مشاريع الإسكان في الجزائر

ص7



إيران تقترب من القنبلة

هذه المرة لا يدور الحديث عن تقدير استخباري يستند إلى مصادر غامضة، أو تصريحات لسياسيين عشية الانتخابات بل عن تقرير فني لخبراء الأمم المتحدة الذين فحصوا النتائج على الأرض، ومصداقيتهم ليست موضع شك. مراقبوا الوكالة الدولية للطاقة الذرية وجدوا أن إيران اجتازت 'حافة تكنولوجية' أخرى، ونجحت في أن تجمع نحو طن من اليورانيوم المخصب. إذا ما اجتازت المادة معالجة إضافية في مشروع التخصيب في نتناز، سيكون في ذلك ما يكفي لإنتاج قنبلة نووية واحدة.

النتائج الجديدة تؤكد ضرورة التصدي للبرنامج النووي الإيراني، وتبرز فشل المحاولات السابقة لوقفه من خلال قرارات مجلس الأمن والعقوبات الاقتصادية. من ناحية إسرائيل، تشديد التهديد يستدعي توثيق التنسيق والتعاون السياسي مع الإدارة الجديدة في واشنطن. كل البدائل التي تقف أمامها إسرائيل، متعلقة بالتفاهم مع الولايات المتحدة.

رئيس الوزراء المرشح، بنيامين نتنياهو، صرح في الحملة الانتخابية بان النووي الإيراني هو 'تهديد وجودي' على إسرائيل وان شايران لن تتسلح بالسلاح النووي، وهذا يتضمن كل ما يلزم كي لا تتحقق هذه الإمكانياص. ويرى نتنياهو في إيران المسألة الأكثر إلحاحا في الحوار مع إدارة أوباما.

وتظهر الإدارة الجديدة في هذه الأثناء ابتعادا عن إسرائيل، وتلمح بأنها لا تدعم سياستها دون تحفظ. وسافرت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون في حملة إلى آسيا، قبل الشرق الأوسط. السيناتور جون كيري، رئيس لجنة الخارجية، زار غزة الخاضعة لحكم حماس وسافر أيضا إلى دمشق. مبعوث أوباما إلى المنطقة جورج ميتشل بدأ رحلته الإقليمية في القاهرة وليس في القدس. كل هذا يدل على انه يتعين على إسرائيل أن تكسب ثقة الإدارة في واشنطن.

على إسرائيل أن تؤيد المساعي الدبلوماسية التي يخطط لها أوباما حيال إيران، بهدف إزالة التهديد. ولكن كي تعرض مصالحها كما ينبغي في المفاوضات عليها أن تساهم بنصيبها: أن تمتنع عن التصريحات الحماسية التي ستفاقم التوتر الشديد على أي حال في المنطقة، أن تمتنع عن الاستفزازات في السلوك واستخدام القوة الزائدة في المناطق مما سيثقل على أوباما، وان تفهم بان في الحياة السياسية لا توجد وجبات بالمجان، والمساعي الأمريكية لـ شترتيبص استراتيجي للشرق الأوسط سينطوي على مطالب من إسرائيل. هذا هو تحدي نتنياهو.

هآرتس

إيران وعروبة البحرين

عبد الباري عطوان

تشهد دولة البحرين هذه الأيام حملة تضامن غير مسبوقة من قبل شقيقاتها العربيات. فقد زارها الرئيس المصري حسني مبارك لساعات معدودة، وشدّ الرحال إليها العاهلِ الأردنيٍ الملك عبدالله الثاني، واستضافت الرياض مؤخراً اجتماعاً طارئاً لوزراء خارجية ومالية دول مجلس التعاون الخليجي.

هذه الحملة تأتي رداً على تصريحات إيرانية تزايدت وتيرتها في الفترة الأخيرة، تهدد سيادة هذه الدولة وتشكك في عروبتها، كان أكثرها وضوحاً وعدوانية ما أدلى به حجة الإسلام علي اكبر ناطق نوري رئيس مجلس الشورى الإيراني السابق، والمفتش الخاص في مكتب المرشد العام الأعلى للجمهورية الإيرانية، والتي وصف فيها البحرين بأنها المحافظة الإيرانية الرابعة عشرة.

الحكومة الإيرانية تنصلت رسمياً من هذه التصريحات وأكدت على سيادة دولة البحرين واستقلالها، مثلما أكدت في الوقت نفسه حرصها على إقامة علاقات حسن جوار متميزة معها، ولكن الضرر قد وقع، والمتربصون بإيران وجدوا فيها، أي التصريحات، فرصة ذهبية للتحريض والتعبئة ضدها.

المسؤولون الإيرانيون يستغربون ردود الفعل الغاضبة التي جاءت رداً على تصريحات السيد نوري، ويقولون في جلساتهم الخاصة إنها تأتي في إطار 'حرية التعبير' الموجودة حالياً في البلاد، حيث يتعرض مسؤولون إيرانيون كبار مثل الرئيس احمدي نجاد لانتقادات حادة من قبل الصحف وفي الجامعات من قبل معارضي سياساته.

حرية التعبير شيء، والتشكيك في سيادة دولة واستقرارها، والادعاء بانتمائها إلى دولة أخرى، شيء آخر مختلف تماماً، خاصة أن مثل هذه التصريحات تكررت في الأشهر الأخيرة على لسان أكثر من شخص، مضافاً إلى ذلك أن السيد نوري ليس صحافياً أو كاتباً، حتى نقول انه يعبر عن رأيه الشخصي، وإنما هو مسؤول كبير في الدولة ومقرب جداً من المرشد العام ويعي ما يقول جيداً.

البحرين استقلت بعد استفتاء شعبي حر وشفاف، اختار أهلها من خلاله تأكيد حقهم في الاستقلال وتقرير المصير، والحفاظ على هويتهم العربية، واعترفت إيران بهذا الخيار الديمقراطي الحر، وأقامت علاقات دبلوماسية كاملة مع الدولة الوليدة حينها، فلماذا تحاول الحكومة الإسلامية الحالية التشكيك في هذا الخيار الآن، واثبات أنها أكثر فارسية وعداء للعرب من حكومة الشاه؟

التوقيت سيئ بكل المقاييس، ويخدم أعداء إيران، والإسرائيليين والأمريكان منهم على وجه الخصوص، من خلال بذر بذور فتنة مع العرب الذين يقفون في خندق إيران في مواجهة مؤامرات هؤلاء، واستعداداتهم لخوض حرب اقتصادية ضدها قد تقود إلى عدوان عسكري على غرار ما حدث في العراق.

كنا نتوقع أن يكون الإيرانيون أكثر ذكاء من الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، ولا يقعون في المصيدة التي وقع فيها وقدمت الذرائع للأمريكان، والمتحالفين معهم من العرب لغزو بلاده وتدميرها، ولكن يبدو أن 'غرور القوة' بدأ يعمي البعض في طهران عن رؤية الحقائق والتعلم من دروس التاريخ والحديث جداً منها على وجه الخصوص.

إيران مستهدفة لأنها تبني قوة عسكرية تهدد الهيمنة الأمريكية على المنطقة، مثلما هي مستهدفة لأنها تدعم حركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وتقف إلى جانب الشعب الفلسطيني لنيل حقوقه المشروعة، ودعمت صمود المقاومة في وجه العدوان الأخير على قطاع غزة بالمال وبعض السلاح، رغم شراسة الحصار، ووقفت خلف أول وأشرف انتصار عربي على الدولة العبرية أثناء عدوان صيف عام 2006 على لبنان. الاستهداف قد يأخذ أشكالا عدة، مثل الحصار الاقتصادي، والعقوبات الدولية، وخلق اضطرابات داخلية من خلال دعم المعارضات، وإحياء النزعات العرقية الانفصالية. والفرس يشكلون حوالي 52 في المئة من مجموع الشعب الإيراني، فهناك العرب في خوزستان (عربستان) والبلوش والطاجيك في الجنوب والشمال الشرقي، والأكراد في الشمال الغربي.

السيد ناطق نوري قدم بتصريحاته الاستفزازية هذه أعظم هدية للذين يقرعون طبول الحرب ضد إيران، وخاصة 'تحالف الخائفين' من تنامي قوتها العسكرية، وحقها في تطوير قدراتها النووية في موازاة القدرات العسكرية الإسرائيلية المنتجة والمكتملة والمسكوت عنها عربياً ودولياً، ودون أي داع، وبطريقة مجانية.

بقي أن نقول أن هذا التضامن العربي المفاجئ مع دولة البحرين في مواجهة إيران هو خطوة جيدة تستحق التنويه، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو لماذا أفاقت هذه النخوة، وبهذه القوة فجأة، بأنظمة مثل النظام المصري الذي تجمدت دماء العروبة في شرايينه أثناء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة؟ ثم ماذا تستطيع هذه الدول تقديمه إلى البحرين في حال ترجمة إيران تهديداتها بشكل جدي مثلما فعل الرئيس صدام حسين، وأرسلت قواتها إلى البحرين؟

الإجابة، وللأسف الشديد، لا شيء على الإطلاق، فهذه الدول جميعاً فاقدة الإرادة العسكرية، مثلما هي فاقدة للإرادة السياسية وحرية القرار، وشاهدنا هذه المأساة في أبشع صورها أثناء دخول القوات العراقية إلى الكويت، حيث هرعت إلى الولايات المتحدة طالبة النجدة والعون، وعارضة سيادتها وقواعدها وأموالها رهينة في المقابل مع صك مفتوح لتغطية جميع التكاليف.

فدول الخليج على وجه الخصوص، وعلى مدى السنوات العشرين الماضية منذ أزمة الكويت، لم تطور قدرات عسكرية فاعلة لحماية نفسها رغم امتلاكها تريليونات الدولارات على شكل عوائد نفطية، وفضلت استثمارها في أوروبا وأمريكا على استثمارها في بناء جيوش وأنظمة دفاعية،فخسرت معظمها (هناك من يقدر الخسارة بثلاثة تريليونات دولار) أثناء أزمة انهيار الأسواق المالية الغربية مؤخرا.

الولايات المتحدة، وفي عهد إدارتها الجديدة، قد لا تلبي أي نداءات خليجية لإغاثتها إذا تعرضت البحرين أو غيرها للخطر الإيراني، فقد خسرت سمعتها وأبناءها وسبعمائة مليار دولار على الأقل لأنها لبت نداءاتهم السابقة بشأن الكويت، وستخسر ضعف ذلك في حربها الحالية في أفغانستان، حيث يجمع الخبراء على أنها خسرتها فعلاً.

العرب، وحكام الخليج ومصر، على وجه الخصوص، ارتكبوا اكبر خطيئة استراتيجيه في تاريخ المنطقة عندما تآمروا على النظام العراقي السابق، وشاركوا بفاعلية في فرض الحصار عليه، ثم فتح قواعدهم وأجوائهم للغزو الأمريكي الأخير، حيث سلموا العراق لإيران على طبق من ذهب، واخلّوا بالتوازن الاستراتيجي الأساسي في المنطقة، ثم جلسوا يتباكون على التفوق الإيراني.

قلوبنا مع البحرين، ولكننا نخشى عليها من حب 'إخوة يوسف' أكثر من خوفنا من الذئب الإيراني المفترض، وتجربة أهل غزة، وقبلهم أهل العراق مع هؤلاء ما زالت واضحة للعيان.

القدس العربي

الحكومة اليمينية ستكشف السر الفظيع

سيما كدمون

قبل أن تنطلقي يا تسيبي ليفني إلى اللقاء مع بنيامين نتنياهو ، يجدر بك أن تفعلي شيئا ما: أن تضربي نفسك بقوة. وبقوة اكبر، فأنت ملزمة بان تصحي.

هذه الصورة التي في رأسك أنتِ تجلسين على رأس طاولة الحكومة ومن حولك وزراء من كاديما، من الليكود، من إسرائيل بيتنا ومن حزب العمل؟ وبالفعل، كان هذا حلما. هذا لن يحصل. وأنت تعرفين ذلك. هذا لا يمكن أن يحصل. حسنا، أنت بالفعل آمنتِ بذلك بل ونجحتِ في أن تقنعي الكثيرين بيننا. ولكن حان الوقت لفتح العينين.

صحيح، هذا ليس سهلا. وأنت محقة. فقد حصلتِ على مقعد واحد أكثر منه. ولكن ما العمل. هو الذي حصل على التفويض المناسب: التفويض بتشكيل حكومة.

عندما ستجلسين أمام نتنياهو، يا تسيبي ليفني، وكل ما يصدح في رأسك هو جملة 'أنا لا أصدقه' يجدر بكِ أن تعرفي أن في رأسه أيضا تصدح جملة واحدة: 'هذا كبير عليها'. ويحتمل أن يكون كلاكما محقا، ولكن هذا لا يهم: مثلما يصنع السلام بين الأعداء، فان الائتلافات تقام بين الخصوم.

وعندما سيضع نتنياهو أمامك اقتراحاته السخية، وهي ستكون سخية، سخية جدا، عدي حتى عشرة قبل أن تجيبي. قبل كل شيء، لأنه سيكون من الصعب جدا أن تتراجعي بعد أن تقولي لا. وستعرفين؟ في المرة التالية التي سيأتي إليك ولن يكون لديكِ بديل، إذ أن رفاقك في الحزب سيضغطون عليكِ، والضغط الجماهيري سيفعل فعله أيضا فان العرض سيكون اقل سخاء.

بعد الظهر، يا تسيبي ليفني عندما ستجلسين أمام نتنياهو ويعرض عليكِ هو الانضمام إلى حكومته، فكري مرتين قبل أن تقولي: 'هذه ليست الحكومة التي يمكننا أن نكون شركاء فيها'. إذ حقا، ما الذي يزعجك في هذه الحكومة، الليكود؟ لا، إذ انكِ نفسك مخلصة لحكومة وحدة مع الليكود. إسرائيل بيتنا؟ حقا. ففي الأسبوع الماضي تحدثتِ عن ليبرمان وكأنكما توأمان فصلا في صباهما. ما الذي كنتِ لتعطيه كي يوصي بك لدى الرئيس، كي يكون هو جزءا من حكومة برئاستك. إذن ما الذي يزعجك حقا يا تسيبي ليفني. شاس؟ حسنا، ها هو سبب وجيه للدخول إلى الائتلاف: تقليص قوة وتأثير شاس. وعندما يتحدث نتنياهو، ويعرض عليكِ الحق في اختيار الحقائب، حكومة متساوية، شراكة في القيادة، حق فيتو، يجدر بك أن تجري حسابا صغيرا للنفس بينك وبين نفسك: ما الذي يحركك. هل يحتمل أن تكوني عشقتِ وضعية الانتصار الشخصي؟ هل سحرتكِ الأضواء، الهتافات، الإيمان بأنك وحدك القادرة؟ إما تسيبي أو لا احد؟ أو بتعبير آخر: هل عشقتِ نفسك لدرجة انك لا ترين إلا ما هو جيد لك؟ ويحتمل أن يكون ما يحركك هو إحساسك بالالتزام (أو مشاعر الذنب؟) تجاه أحزاب اليسار، تلك التي سربتِ لهم المقاعد قبل الانتخابات، حين وعدتِ شإما تسيبي أو بيبيص.

يمكنك أن تهدئي. فهذا ليس الوعد الانتخابي الأول الذي خرق. ولن يكون الأخير. انتبهي إلى نقطة مهمة: هناك كثيرون في اليمين يريدون أن يروا كاديما في الحكومة، بالضبط مثلما هناك كثيرون في اليسار يريدون حكومة يمينية متطرفة. لماذا؟ لان اليمين يفهم بان الحكومة اليمينية ستكشف السر الفظيع في أنها غير قادرة بل وربما لا تريد أن تعمل كل ما تؤمن به. أما اليسار فيريد حكومة يمينية كي يراها تتحطم وتسقط أمام ناظريه، ولا نقول ناظرينا.

إذن لا تفكري لا عن اليمين ولا عن اليسار، يا تسيبي ليفني. ببساطة فكري بسبعة ملايين ونصف المليون إسرائيلي ملت نفوسهم الزعماء الذين يقولون أن الوحدة هي آمر الساعة وبعد دقيقة من ذلك يتراجعون. من يتحدثون عن ما هو جيد للدولة ولكن ليست لديهم أي فكرة كيف يمكن تحقيق ذلك. فكري ما هو بالفعل جيد لهم. ما هو صحيح عمله من اجلهم. من اجلهم، لا من أجلك. من اجلهم، لا من اجل كاديما. وستتفاجئين يا تسيبي ليفني، ولكن يحتمل انه عندما تفعلين ما هو حقا خير للدولة، ستكتشفين أن هذا أيضا يصنع الخير لك.

يديعوت

المحرر
أسبوعية مستقلة شاملة

تصدر عن ش.ذ.م.م
'الهدهد للنشروالاشهار والخدمات الاعلامية'
رأسمالها 100.000د.ج

المدير مسؤول النشر:
لونيسي مبارك

المقر الإجتماعي :
حي الرياضات عمارة ج رقم81 ، رويسو،الجزائر العاصمة

الادارة والتحرير :
هاتف: 021 67 63 51
فاكس: 021 67 63 58

الطباعة :
شركة الطباعة الجزائر/الوسط

email: el-mouharrir@hotmail.com

ما تبقى من كرامة مصر

فهمي هويدي

حين اعتبر المفاوض الإسرائيلي عاموس جلعاد أن أولمرت أهان مصر حين تراجع فى اللحظة الأخيرة واشترط إطلاق سراح الجندى الأسير كشرط للتهدئة وفتح المعابر، فإن مصر كان لها رد فعل آخر أخف وطأة. إذ وصفت ذلك التراجع بأنه 'مجرد انتكاسة'، بما يعنى أنه يمس مسار التهدئة ولا يمس كرامة مصر. شيء من هذا القبيل حدث حين اعتبر الطيب أردوغان أن إسرائيل وجهت إهانة إلى تركيا، حين زارها أولمرت قبل أسبوع من بدء الحرب على غزة، ولم يشر إلى ذلك أثناء محادثاته في أنقرة، رغم علمه بأن قرار الحرب قد صدر. لكن مصر لم تر فى الأمر إهانة، حين استقبلت وزيرة الخارجية الإسرائيلية قبل 48 ساعة من الحرب، وأعلنت من القاهرة أن حكومتها ستقضى على حركة حماس. وكل ما فعلته أنها طالبت بوقف إطلاق النار، ولم تقصر وزيرة خارجيتها فى تحميل حماس المسئولية عما جرى.

تكرر المشهد حين وقعت وزيرة الخارجية الإسرائيلية مع نظيرتها الأمريكية قبل آخر يوم من انتهاء ولاية الرئيس بوش، اتفاقا بخصوص ترتيبات معينة لمنع وصول السلاح إلى المقاومة فى غزة، ورغم أن مصر لم تكن طرفا فى الاتفاق، فإنها فوجئت بأنه يتناول أوضاعا تخص حدودها على قطاع غزة، الأمر الذي سبب لها حرجا سياسيا بالغا، استقبلته بكظم الغيظ أولا، وبالإعلان عن أن مصر لن تعترف بأي اتفاق يمس سيادتها على أراضيها، ثم سكنت بعد ذلك.

ما حدث بعد ذلك أثناء الحرب على غزة كان أفدح، إذ عمدت إسرائيل إلى قصف الشريط الحدودي المصري على القطاع بمختلف أنواع الأسلحة والصواريخ والقنابل، التي أحدثت أضرارا عديدة بكل صور الحياة في الجانب المصري من الحدود، فتصدعت المباني أو انهارت، كما أن البشر تعرضوا لإصابات مختلفة. وتذرعت إسرائيل في ذلك برغبتها في تدمير الأنفاق الواصلة بين القطاع ورفح المصرية، إلا أن هذه العمليات العسكرية التي استمرت طوال أسابيع الحرب تعد انتهاكا صريحا لنصوص معاهدة السلام الموقعة بين البلدين منذ ثلاثين عاما، إذ تنص تلك المعاهدة على أن الحدود مصونة لا تمس، وأن الطرفين ملزمان بعدم صدور أي فعل من أفعال الحرب أو الأعمال العدوانية أو التهديد ضد السكان، كما حددت على سبيل الحصر الأسلحة المسموح باستخدامها على الحدود، في مساحة بعرض ثلاثة كيلومترات أطلق عليها المنطقة 'د'. ذلك كله تجاهلته إسرائيل وأطاحت به في محاولتها تدمير الأنفاق. وكل الذي فعلته مصر إزاء تلك الانتهاكات الفجة والمتكررة، أنها سجلت الخروقات التي قامت بها إسرائيل وأبلغتها في هدوء إلى الأمم المتحدة.

إذا أضفنا إلى هذه الوقائع سجل الحوادث التي شهدتها الحدود بين البلدين خلال السنوات الأخيرة التي أدت إلى قتل حوالي 15 مواطنا مصريا ـ بعضهم عسكريون ـ بالرصاص الإسرائيلي، ثم استمرار استقبال المسئولين الإسرائيليين في القاهرة بعد ذلك مباشرة وكأن شيئا لم يكن، فإن حيرة المرء ودهشته ينبغي أن تتضاعف. إذ فضلا عن شعوره بالمهانة والخزي، فإن أسئلة كثيرة لابد أن تلح عليه، بعضها ما خطر لجيلنا على الأقل أن يطرحه يوما ما. أحدها مثلا السؤال عن السبب في أن مصر أصبحت تدير للإسرائيليين خدها الأيسر، كلما تلقت منهم ضربة على الخد الأيمن؟.

إن فى الفم ماءا كثيرا، والدهشة تعقد اللسان عن مواصلة السؤال. إلا أنني في كل الأحوال، لا أتصور أن مصر أصبحت بلا حيلة، ولا تملك وسيلة للرد على الإهانة والوقاحة الإسرائيليتين، خصوصا أننا فرطنا في أشياء كثيرة تخص البلد، ولم يبق له إلا بعض الكرامة، فحافظوا عليها أرجوكم، حتى لا نموت من الكمد، ونقتنع بأن باطن الأرض أصبح خيرا لنا من ظاهرها.

إفتتاحية

إلى متى ؟

قال الأستاذ عبد الحميد مهري، الأمين العام الأسبق لحزب جبهة التحرير الوطني ذات يوم ´لقد خاض الشعب الجزائري ثورة لمدة سبع سنوات، يتمنى العالم لو كانت له فرصة أسبوع منها، ليكسب شيئا من الشرف الذي ناله الجزائري خلال خوضه هذه الثورة.

وقال مخرج عربي في نفس الموضوع ´إن الثورة الجزائرية مادة خصبة للإنتاج السمعي البصري، ولكنّ أهلها أهملوها.

هذه المفارقة العجيبة، بين واقع يتمنى العالم أن يكون له جزءا منه، وبين أن يكون مصدرا هاما بكل أبعاده الاقتصادية و الثقافية، لا يمكن أن تصدر إلا عن مجتمع جاهل بما يتمتع به من مكانة بين الأمم أو قل لا يشعر بما عنده من فضائل، فيصدق عليه قول الشاعر:

كالعير في البيداء يقتلها الظمأ
و الماء على ظهورها محمول

غير طبيعي أن يقوم شعب بثورة عملاقة يتمنى العالم أن يعيش أسبوعا من فضائلها، وفي نفس الوقت لا يعلم عنها شيئا، وإذا علم فلا يعلمه إلا مصفى من الأدران ومنتقى وفق معايير لا علاقة لها بهذه الثورة ومبادئها وغاياتها النبيلة.

شهر مارس عُرف بين المجاهدين بشهر الشهداء، لكثرة المستَشهدين فيه من قيادات الثورة، ويوم 19 منه عُرف بيوم توقيف القتال. ولكن ما بقي مخيما من جهل بأحداث هذا الشهر ووقائعه وعلى غيره من السنوات السبع، أكثر بكثير مما علمه الناس؛ بل نكاد نجزم أن جهل الجزائري بعظمة ثورته ومكانتها بين الشعوب والمجتمعات، كان سببا في جهله بنفسه وبمكانة بلاده و بالنعمة التي هو فيها.

لاشك أن هناك من ينظر إلى التاريخ على أنه تصفية حسابات بين فرقاء، ومنهم من ينظر إليه على أنه فرصة للاسترزاق، وفريق ثالث يحمله ´شطربا´ يشطرب به كل من تخيله معاديا للثورة و للثوابت.

ولكن هذه الأهواء يجب ألا تنسينا أن التاريخ لا يخضع للأهواء؛ كما لا يمكن أن تتحكم فيه أو تكون لها القدرة على إخفاء حقيقة ما أو إضفاء شرعية على كذبة ما، أو تزوير واقعة.

يمكن للأهواء أن تتلاعب بالوقائع والأحداث فتبدي ما تشاء وتخفي ما تريد، ولكن ذلك لا يستمر؛ لأن ´حبل الكذب قصير´ كما يقال، وحبل التزوير أقصر، ولأن الحقيقة باقية تظهر عندما يخفت صوت الهوى أو ينسحب بعد استنفاذ ما عنده من نفوذ.

قد يكون لعامل الزمن دخل في تعمد إهمال الاهتمام بالتاريخ كعامل مساعد على بناء الشخصية الوطنية بأبعادها المتكاملة المتناغمة، لأن الأحداث يصعب الكلام عنها و عن رجالها بحرية و صدقية معتبرة بعيدا عن الذاتية و الحسابات.. كل ذلك متفهم واعتباره معقول، و لكن ما نعيشه من إهمال لتاريخنا وتاريخ ثورتنا قد فاق كل الأخيلة التي يمكن تصورها، ومن شواهد هذا الإهمال، ظهور جيل يتمنى عودة الاستعمار، أو يسعى للنيل من المجاهدين أو يشكك في وجود الشهداء أصلا....

هل يعقل هذا ؟ شعب يشعل ثورة يتمنى العالم أن يعيش أياما منها في فضائلها، ثم يظهر من أحفاده من يشكك في هذه الثورة أو في غاياتها!؟

إن هذا لا يقع إلا مع خلل مؤثر، ومن الخلل الظاهر إهمال التاريخ وسياسة تجهيل الأجيال بماضيها فإلى متى هذا الإهمال و إل متى هذا التجهيل. **المحرر**

ماذا يقول الإسرائيليون عن حرب غزة

بقلم :نواف الزرو

فور اتخاذ الحكومة الإسرائيلية صباح 18/1/2009/ قرار وقف العدوان على غزة أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت "أن إنجازات الحرب على غزة تحققت"، ولخص المعلقون الإسرائيليون في الصحف إنجازات الحرب بتوجيه 'ضربة عقابية لحماس' ، و'زيادة قدرة الردع الإسرائيلية'، كما ركزت الصحف على 'صمود الجبهة الداخلية' ، و'استعادة الجيش لحيويته التي فقدها في حرب لبنان' ـ حسب تعبيرهم، إلا 'أن أكثر من معلق قالوا إن الحملة استنفدت أهدافها في الأيام الأولى وكان يجب أن تتوقف هناك وانتقدوا إطالتها'. فماذا يقول الإسرائيليون في ذلك إذن؟

ـ وإلى أي حد وأي مدى حققت 'إسرائيل" فعلا أهدافها...؟!

المؤرخ الإسرائيلي المناهض صاحب كتاب 'اختراع إسرائيل والشعب اليهودي 'شلومو زاند" اتهم إسرائيل بتحويل القطاع إلى 'محمية كبيرة، وأنها فقدت كل ضابط أخلاقي وهي لا تفهم غير لغة القوة"، وقال 'إن إسرائيل زرعت الخراب والأسى في كل مكان في غزة وقتلت النساء والأطفال لغايات انتخابية، حيث كان توقيت الحرب ملائماً من هذه الناحية"، ونفى 'أن تكون الحرب قد حققت أهدافها، حيث لم تنه حركة المقاومة الإسلامية حماس ولم تستطع تقوية معسكر الاعتدال لدى الفلسطينيين".

رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال غابي اشكنازي أدلى باعتراف بالغ الأهمية التوثيقية حينما كشف النقاب عن 'أن مجموعة من أفراد حماس كانت ترتدي زي الجنود الإسرائيليين حاولت التسلل إلى صفوف الجيش الإسرائيلي"، وهذا الاعتراف من أهم وابلغ الاعترافات على ما جرى، فهو يكشف لنا جانبا بمنتهى الأهمية من حقيقة المواجهات الميدانية التي حرصت الماكينة الإعلامية الإسرائيلية على إخفائها.. وإذا ما أضفنا إليه تصريح الجنرال موشيه يعلون الذي شغل موقع رئيس أركان الجيش سابقا أيضا الذي قال: 'ما فعلناه في غزة طوال الوقت المراوحة في المكان".

ودعوة رئيس الموساد السابق 'افرايم هليفي" إلى 'عدم تجاهل حركة حماس عند الإقدام على محاولة ترتيب أوراق المنطقة بعد العدوان على غزة" : 'لأن حماس ورغم الضربات الموجعة غير المسبوقة التي تلقتها طيلة 22 يوما بقيت وصمدت"، مؤكدا: 'أمطرنا قطاع غزة بالنار براً وبحراً وجواً، لكن حماس خرجت من بين الركام والرماد كطائر الفينيق وأدارت مفاوضات شرسة مع مصر وهي تبحث عن حاجاتها ووجهتها ليست الاستسلام".

فإننا نغدو بصدد ثلاث شهادات لثلاثة من كبار جنرالات العدو، ونقول قد نكتفي بهذه الاعترافات أو الشهادات ونتوقف، غير أننا بحاجة ملحة للمزيد والمزيد من الاعترافات والشهادات الإسرائيلية الموثقة ليس لسبب آني عاجل فقط، وإنما لغاية التوثيق التاريخي أيضا.

يضاف إلى كل ذلك، فان لإعلان نتنياهو أن 'المهمة في غزة لم تستكمل مدلولاته الكبيرة، موضحا: 'أن حكومة برئاستي سيتعين عليها أن تصدر التعليمات لاستكمال المهمة"، و'هذا موضوع عزة ذاتية، اعتقد أن شعبا يحترم نفسه لا يسمح بان يطلقوا عليه الصواريخ. بعد أن تعود إلينا العزة الذاتية، سنطالب الآخرين باحترامنا".

إلى ذلك أيضا ـ هاهو الوزير الأسبق يوسي سريد يؤكد: 'الردع الذي حققه الفلسطينيون مع بنادقهم الخردة فاق ألف مرة الردع الذي حققه الجيش الإسرائيلي في مخيمات اللاجئين مع كل دباباته ومروحياته، فضلا عن العبوات الناسفة التي بدأ يزرعها المسلحون في أماكن أكثر دقة وحساسية". ونتابع بعض العناوين التي تتحدث عن الجوهر ذاته:فكتب موشيه آرنس- وزير الحرب الأسبق تحت عنوان 'الردع أحلام" يقول: "حماس لا يمكن ردعها".

وهاهي مديرة الأبحاث في معهد الأمن القومي للأبحاث الدكتور 'أنات كورس" توضح 'أن العملية العسكرية الأخيرة على قطاع غزة أضعفت حركة حماس ولكنها لن تمنعها من إعادة بناء قوتها، وإعادة القدرة على تهديد إسرائيل من ناحية أمنية مجددا"، ووزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق شلومو بن عامي قال: 'إن قرار 'إسرائيل" بشن حرب على قطاع غزة كان خطأ منذ البداية ولم يكن لها أي داع بتاتا"، وقالت أسرة تحرير هآرتس" إن الخطر الأكبر يكمن في تصديق الجيش الإسرائيلي انه قد انتصر في هذه الحرب".

وكعادته كشف جدعون ليفي /المحلل الإسرائيلي المناهض لسياسات الاحتلال جوانب مما حدث في غزة، فكتب يقول: 'بعد عودة آخر الجنود من غزة إلى البيت يمكن أن نجزم بيقين أنهم خرجوا إلى هناك عبثا، ففي هذه الحرب فشلت إسرائيل فشلا ذريعا، ليس الحديث فقط عن الفشل الأخلاقي العميق، بل عن عدم قدرتها أيضا على إحراز أهدافها المعلنة، وبعبارة أخرى أضيف إلى الشكل الفشل أيضا، لم نفد شيئا من هذه الحرب، سوى مئات القبور، وفيها لصغار، وآلاف المعوقين، والدمار الكثير وضعضعة صورة إسرائيل، ان ما بدا خسارة معلومة مقدما لقلة فقط يوم نشوب الحرب، سيتضح كذلك لكثيرين بعد زوال هتاف النصر/ هآرتس".

البيان الإماراتية

أسماء تريد منافسة بوتفليقة في الرئاسيات

مترشحون.. أم قائمون بمهام؟

"هل ستنجح السلطة في ضمان انتخابات تعددية وديمقراطية في التاسع أفريل المقبل؟".. كل المؤشرات تسير في هذا الاتجاه لأن الذين قبلوا دخول المعترك الرئاسي لمنافسة بوتفليقة رغم تواضعهم ومحدودية برامجهم حريصون كل الحرص على أداء مهمتهم على أكمل وجه حتى يكتمل "العرس الانتخابي"، ولن نتوقع ديكورا آخر أحسن من ذلك، فالمترشح المستقل عبد العزيز بوتفليقة لن يرضى بأقل من فوز كاسح يعبّد له الطريق لمواصلة مشوار الذي بدأه ووعد بإنجازه .

زهير آيت سعادة

"إن الرئيس لن يكون رئيسا إلا إذا كان مدعما بثقة الأغلبية الساحقة للشعب ومن هنا أهمية الانتخابات".. هذا الكلام الذي قاله بوتفليقة في خطاب إعلانه الترشح لتولي تسيير شؤون البلاد لعهدة جديدة بقدر ما هو موجّه للشعب حتى يصوّت على برنامجه بقوة، بقدر ما يحمل الكثير من الرسائل المشفّرة إلى الذين يريدون دخول السباق الرئاسي، فرهان المترشح المستقل لا يأخذ في الحسبان الأسماء التي قرّرت منافسته في كسب أصوات الناخبين لأنه يعرف أنها غير منافسة ومتواضعة كونها لا تمثل في النهاية سوى ديكور لتزيين موعد التاسع من شهر أفريل المقبل بما في ذلك المترشحة لويزة حنون.

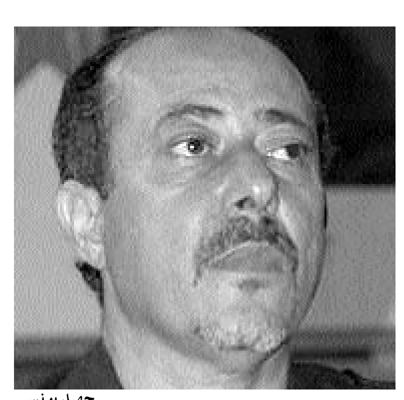
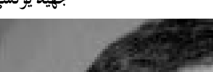
وضمن هذا السياق فإن الحراك الذي عرفته الساحة السياسية في الأسابيع القليلة ونقصد هنا تصريحات بعض "الأرانب" الذين أبدوا نيتهم في منافسة بوتفليقة في السباق الرئاسي يوحي بأن هناك من لا يزال يتعامل ويعتقد بأن منصب رئيس الجمهورية لا يختلف عن مهمة تسيير مدرسة أو بلدية أو حتى مؤسسة ذات أسهم، فعندما نسمع كلاما من قبيل "نحن جاهزون لتسيير شؤون البلاد" أو "على الشعب أن يختار التغيير ونحن جاهزون لتحمّل المسؤولية.." نتأكد من أن التعددية التي مر عليها عشرون عاما لا تعني هذه الدرجة من الاستخفاف، فإذا كان الطموح في تولي إمامة الأمة مشروعا في حدود المعقول فإن غير المعقول أن يزيد هذا الطموح عن حده إلى درجة يخال لنا بأن هؤلاء يحتاجون إلى رعاية صحية عاجلة.

وتكفي العودة هنا إلى بعض الأسماء التي سحبت استمارات الترشح، ولا يهم إن كانت نجحت في الوصول إلى النصاب المطلوب من التوقيعات، هذه الأسماء التي أثبتت فشلها على أكثر من صعيد سواء في تسيير شؤون أحزابها أو في تولي مهمات إدارية بسيطة أوكلت لها، فهل فعلا وصلنا إلى هذا المستوى من الابتذال السياسي حتى يطل علينا عبد الله طمين الذي طرد شرّ طردة من وزارة الشؤون الدينية أو عمر بوعشة الذي لا يسمع به أحد، أو علي زغدود الذي بلغ من العمر عتيّا، أو علي فوزي رباعين الذي نال أقل من 1 بالمائة من أصوات الناخبين في رئاسيات 2004, أو النقابي علي بوعزيز ولوط بوناطيرو.. هل وصلنا إلى هذا المستوى عندما يحاول هؤلاء وآخرون إقناعنا بأنهم قادرون على منافسة بوتفليقة ومن ورائها تسيير شؤون الدولة، لسنا ندري كيف ينظر هؤلاء إلى الشعب وإلى منصب القاضي الأول في البلاد..

كل هذه التساؤلات تنطبق على عينة أخرى من المترشحين للانتخابات الرئاسية لكن بشكل آخر، فأسماء من قبيل لويزة حنون زعيمة حزب العمال وموسى تواتي رئيس الجبهة الوطنية الجزائرية وجهيد يونسي رئيس حركة الإصلاح إلى جانب محمد السعيد الرجل الظل لزعيم حركة الوفاء والعدل الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.. كلهم تحمل مسألة ترشحهم علامات استفهام كبيرة إلى درجة أننا نكاد نجزم بأنهم مكلفون بمهمة "تسخين البندير" وإعطاء الانطباع بأن الموعد الرئاسي المقبل يكرّس التعددية السياسية من خلال ضمان مشاركة كل التيارات، رغم أن هذه الأسماء مجتمعة متفقة على أنها ليست في مستوى المنافسة وليس بإمكانها تحقيق أي مكسب في التاسع أفريل المقبل سوى الريع الذي تتلقاه مقابل المشاركة.

وقد عرفت لويزة حنون من أين تؤكل الكتف عندما أنهت حالة الترقب وقررت أخيرا ترشيح نفسها للرئاسيات، ولكن على ما يبدو فإنها انتظرت الفرصة المناسبة لذلك في وقت كانت فيه كل المؤشرات توحي بأنها لن تدخل السباق لأنها تعرف أكثر من غيرها بأن حظوظها منعدمة وليست فقط ضئيلة لتكون المنافس الحقيقي للرئيس المترشح.

وما يثير الجدل فعلا في ترشح زعيمة الحزب التروتسكي تأكدها أخيرا بأنها قادرة أن تسير شؤون البلاد والعباد، والأكثر من ذلك قالت إن المقاطعة ليست حلا وعلى الجزائريين أن يشاركوا بقوة في الاقتراع مهما كانت خياراتهم حيث لم تتوان في التأكيد خلال إعلان ترشحها مخاطبة الشعب: "جعلوه استفتاء شعبيا..", وهنا يحق التساؤل أيضا: هل مشاركة حنون مجرد مهمة كلّف بها حزب العمال من أجل رفع نسبة المشاركة؟، هذا الاحتمال يبقى



جهيد يونسي


موسى تواتي


لويزة حنون

رشيد بوعزيز


محمد السعيد

واردا جدا لأن السلطة لن تقبل برنامجا انتخابيا يحل البرلمان ويمنح الشعب سلطة الإطاحة برئيس الجمهورية ويعيد البلاد إلى نقطة الصفر، وحتى الأفكار التي تطرحها تبدو في مجملها معقولة ولكنها تدرك كذلك استحالة تطبيقها في الجزائر.

موسى تواتي هو الآخر يراهن على خيار المشاركة بقوة ويسعى أيضا اعتمادا على الشعبية التي اكتسبها حزبه في الاستحقاقات الانتخابية الأخيرة ليستكمل مهمته بنجاح، فتركيز مرشح "الأفانا" منصب على التحسيس أكثر من أي مهمة أخرى، حيث جاء على لسانه أن من بين المعارك التي يجب أن يربحها الجزائريون في رئاسيات 2009 هو مقاطعة المقاطعين، فالرجل على يقين مثل سابقيه بأنه لن يتجاوز عتبة 5 بالمائة على أقصى تقدير في الرئاسيات لأن الأغلبية التي ستصوت لن تختار مرشحا آخر أحسن من بوتفليقة، وبالتالي فإن أقل الأضرار التي سيخرج بها تواتي هي الحصول على أموال وضخ أرصدة الحزب نظير المشاركة.

وعند الحديث عن مرشح حركة الإصلاح تتضح أكثر مقاربة "التكليف بالمهمة" أو القيام بمهام لأن منطق الأشياء يقول بأن جهيد يونسي الذي فشل حزبه فشلا ذريعا بعد التمرد الذي قاده أعضاء قياديون على الشيخ عبد الله جاب الله، ليس بإمكانه جمع الحد الأدنى المطلوب من التوقيعات، والدليل أن التوقيعات التي جمعها المترشح كان بفضل "مزية" من منتخبي حركة مجتمع السلم الذين جندهم رئيس الحركة أبو جرة سلطاني من أجل فتح الطريق أمام "مرشح الإسلاميين".

ومن هنا نتساءل كذلك عن أي مصلحة هذه تجعل رئيس حمس يتكرم على يونسي إذا علمنا بأن حزبه جمع 250 ألف توقيع لصالح المترشح المستقل عبد العزيز بوتفليقة؟، وإلى جانب هذا لماذا تأخر يونسي عن الإعلان عن ترشحه ثلاثة أسابيع بعد فتح عملية سحب الاستمارات؟، وفي تقديرنا فإن لا إجابة أخرى تخرج عن إطار مساعي لتجنيد كل ما يمكن تجنيده لضمان نسبة المشاركة التي تجعل من الموعد الرئاسي القادم عرسا انتخابيا وموعدا لتكريس الديمقراطية والتعددية في الجزائر.

المعارضة شريك السلطة في اغتيال السياسة

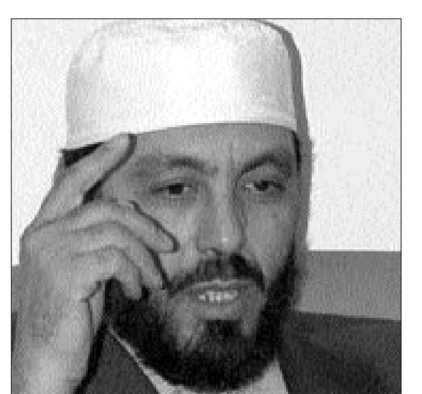
الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات هي موقف سياسي يجب احترامه في كل الأحوال، غير أن المقاطعة لا تعني الاستقالة من الشأن العام ولا تعفي دعاتها من النزول إلى الميدان لتجنيد المواطنين دفاعا عن مشروع سياسي بديل، والمقاطعة أيضا ليست هدفا في حد ذاته وهي لا تمثل مشروعا أو بديلا، إلا أنها يمكن أن تكون نقطة انطلاق لعمل سياسي جاد،

نجيب بلحيمر

ليس مطلوبا من أي سلطة في العالم أن تهدي عيوبها ونقاط ضعفها لمعارضيها، ولا يعقل أن نتوقع من أي حاكم أن يتنازل عن منصبه إلا بقوة القانون وقرار الناخبين في الدول الديمقراطية، أو بالوفاة أو الانقلاب في الدول الشمولية، وهذه قاعدة تثبتها الوقائع التاريخية ولا تنقضها الاستثناءات التي حدثت في التاريخ، وعلى أساس هذه القاعدة قامت الثورات الشعبية والاحتجاجات وحالات العصيان المدني في كثير من دول العالم من أجل تغيير نظام الحكم، ولا تزال هذه الأشكال من المواجهة السياسية غير العنيفة قائمة إلى الآن في دول حيث يسعى المتظاهرون والمعتصمون إلى التغيير، وفي كل الأحوال تكون الأحزاب المعارضة والجمعيات الفاعلة وراء هذه التحركات السياسية.

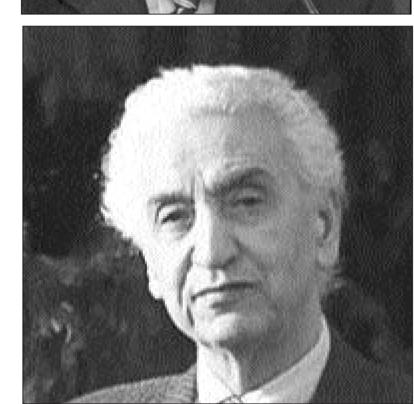
ربما تكون الجزائر من الدول التي تمثل الاستثناء لهذه القاعدة، فالمعارضة هنا لا تزيد على إصدار البيانات التي تصف الوضع القائم بأنه كارثة وأن البلاد متجهة رأسا إلى الهاوية، سمعنا هذا الكلام طيلة السنوات العشر الماضية حتى لا نتحدث عن عقد التسعينيات الذي كان بالفعل كارثة أمنية واقتصادية وسياسية لا نظير لها في تاريخ البلاد، فمنذ قرار المترشحين الستة بالانسحاب من انتخابات الرئاسة سنة 1999 ونحن نقرأ بيانات ونسمع خطابات كلها تتوعد بمستقبل أسود، وبانهيار شامل، وبعد عشرة أعوام نسمع اليوم نفس الكلام عشية الانتخابات.

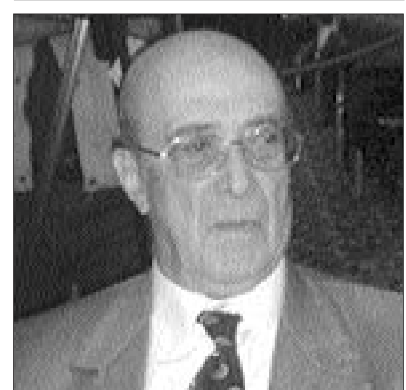
الحديث يدور عن نظام أفلس وشاخ ولم يبق له ما يقدمه، وهناك كلام كثير يقال في مؤتمرات حزبية ووسائل إعلام عن الخطر الذي بات يهدد وجود الدولة الجزائرية بسبب بوتفليقة وجماعته التي وصفها الأمين الوطني لجبهة القوى الاشتراكية كريم طابو بأنها لجنة وطنية لتصفية الجزائر، وهناك حرب أرقام حقيقية بين الحكومة والمعارضة حول البطالة وتسيير مداخيل النفط وما تم تبذيره أو نهبه وما تم إنجازه على الأرض، ولا توجد هيئة إحصاء محايدة يمكنها تقديم أرقام دقيقة وذات مصداقية، وكمثال بسيط تعتمد الحكومة رسميا رقم 12 بالمائة كنسبة للبطالة في الجزائر في حين يقول الطرف الآخر في المعارضة إنها تصل إلى حدود 35 بالمائة أي ثلاثة أضعاف ما تصرح به الحكومة ولا أحد يستطيع أن يقدم ما يثبت صحة هذه النسبة، غير أن المعارضة تكتفي بتقديم هذه الأرقام وبحملات هجاء موسمية دون أن تغير في الوضع شيئا ودون أن تقدم أي تصور لإنقاذ البلاد وأهلها من الهاوية التي تقول إننا ذاهبون إليها حتما.











الأصل في دور المعارضة هو تقديم البدائل العملية وتجنيد المواطنين للأخذ بخيارات جديدة، ولا يمكن لحجة اللعبة المغلقة أن تكون مبررا مقبولا للتقاعس عن أداء هذا الدور، فالمعارضة مطالبة بكسر كل الحواجز التي يمكن أن تضعها السلطة في طريقها، ولا بد من الاعتراف أن كل الديمقراطيات في العالم تشهد مناورات من جانب السلطة لإدامة فترة حكمها مع وجود فوارق بين دولة وأخرى، وفي حالة من العالم الثالث هي مصر يمكن أن نلاحظ الصراع المرير الذي تخوضه جماعة الإخوان المحظورة من أجل كسب مواقع على الساحة، وقد كانت الانتخابات التي جرت هناك معركة حقيقية خاضها القضاة ضد الإدارة، وفي الجزائر أيضا يوفر القانون ضمانات واضحة وهناك نصوص واضحة منها التعليمة الرئاسية الأخيرة التي تعتبر عدم تسليم محاضر فرز الأصوات لممثلي المترشحين جناية، وهناك قوانين واضحة تعطي المشاركين في الانتخابات الحق في مراقبة العملية في كل مراحلها قبل الاقتراع وأثناءه وبعده، وربما كان من الأفضل أن تستغل هذه الضمانات كقاعدة لعمل سياسي منهجي تقوم به المعارضة.

الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات هي موقف سياسي يجب احترامه في كل الأحوال، غير أن المقاطعة لا تعني الاستقالة من الشأن العام ولا تعفي دعاتها من النزول إلى الميدان لتجنيد المواطنين دفاعا عن مشروع سياسي بديل، والمقاطعة أيضا ليست هدفا في حد ذاته وهي لا تمثل مشروعا أو بديلا، إلا أنها يمكن أن تكون نقطة انطلاق لعمل سياسي جاد، والمعارضة في الجزائر جعلت نسبة المشاركة الضعيفة في الانتخابات دليلا على نجاح دعوة المقاطعة حتى ولو كانت هذه الدعوة جاءت من تيارات سياسية متناقضة في الجوهر وهو ما يدفع إلى البحث عن السبب الحقيقي لعزوف الناخبين بدل الركون إلى هذا الإحساس الزائف بالنجاح.

خلال عشر سنوات كاملة من حكم بوتفليقة ومن التنديد المستمر للمعارضة لم يتم التوصل إلى أي تحالف سياسي بين مجموعة من أحزاب المعارضة، ولم يحدث أي تنسيق، وكل ما نذكره هو بيان مقتضب وقعه عبد الحميد مهري وحسين آيت أحمد ومولود حمروش وحولته الصحف المتلهفة لأي نشاط سياسي معارض إلى مبادرة قبل أن يعود أصحاب البيان ويذكروا الجميع بأن الأمر لا يرقى إلى هذا الوصف، وهناك تنسيق سياسي آخر برز بين حركة الإصلاح التي سيطر عليها المنشقون عن جاب الله وحركة النهضة التي يتزعمها من سبقوهم في الانشقاق عن جاب الله أيضا، وقد انتهى الأمر إلى لا شيء وبدا وكأن كل ما جمع الفريقين هو خلاف قديم مع جاب الله، وهناك البدعة الكبرى التي جاء بها سعيد سعدي عندما جمد حزبه إلى ما بعد الانتخابات.

ما من شك في أن التغيير لا يكون بتجميد العمل السياسي ولا بهذا الهزال الذي يعتبر من العوامل التي زادت في إحكام غلق الساحة السياسية، ودفعت الملايين من الجزائريين إلى الاستقالة من الشأن العام بشكل ينذر بضمور الشعور بالانتماء إلى الجماعة الذي هو الأساس الذي تقوم عليه الدولة، ومن هنا تصبح مسؤولية المعارضة كاملة وقد تكون أعظم من مسؤولية السلطة في تكريس هذا الانسداد السياسي الذي يجعل الانتخابات مجرد إجراء شكلي لإبقاء الوضع على ما هو عليه إلى أجل غير مسمى.

النقابات تؤجل احتجاجاتها إلى ما بعد الرئاسيات

تعليمات فوقية تُلزم الوزارات بالتهدئة الاجتماعية

لم تقتصر إجراءات التهدئة الاجتماعية التي تهدف إلى تحقيقها السلطات عشية الانتخابات الرئاسية على إقرار تسديد الأجور المتأخرة ولا على توجيه سيدي السعيد لتعليمة يأمر من خلالها الفروع النقابية بتأجيل كل الاحتجاجات إلى ما بعد الموعد المذكور بل طالت حتى النقابات المستقلة ووصل الأمر إلى حد تكليف بعض المسؤولين عبر الوزارات، تطبيقا لتعليمات فوقية، بإجراء اتصالات غير معلنة مع بعض ممثلي هذه النقابات وهو الأمر الذي انتهى إلى إقرار هذه الأخيرة بدورها تأجيل احتجاجاتها إلى ما بعد التاسع أفريل المقبل.

ابن عبد الرحمن

لم تكن الفروع النقابية التابعة للاتحاد العام للعمال الجزائريين هي محور مخاوف السلطات العليا من احتمال شنها لاحتجاجات اجتماعية ومهنية عشية الانتخابات الرئاسية باعتبار أن هذه المنظمة النقابية، أي الاتحاد العام لـ ع ج قد وقع على العقد الوطني الاقتصادي والاجتماعي شهر سبتمبر 2006, وهو ما يُلزمه بضمان التهدئة الاجتماعية واللجوء دائما إلى طرق الحوار والتشاور لمدة أربع سنوات، وهي المدة القانونية للعقد، لكن المخاوف الأساسية للسلطات في هذا الوقت بالذات تتمثل في النقابات المستقلة التي تمكنت عبر العديد من إضراباتها الوطنية شل الحركة في قطاعات عديدة تابعة للوظيف العمومي وعبر كامل التراب الوطني.

وإذا كان الأمين العام للمركزية النقابية عبد المجيد سيدي السعيد قد استوعب الدروس السابقة ووجه تعليمة إلى كافة الفروع النقابية يأمرها بتأجيل أي احتجاج إلى ما بعد التاسع أفريل المقبل خوفا من أي تحرك قد تقوم به بعض النقابات التي لها طابع خاص ويصعب التحكم فيها كنقابات الموانئ ونقابة المؤسسة الوطنية للسيارات الصناعية أس أن في بيب ونقابة اميتال ستيلب بعنابة، أو ما يسمى بمركب الحجار سابقا، فإن النقابات المستقلة بقيت تُرافع لمطالبها وتُخطط لشن احتجاجاتها كما فعلت منذ عدة أشهر وهو ما دفع السلطات إلى العمل من أجل إيجاد طرق كفيلة بتهدئتها على الأقل إلى خلال الشهرين المقبلين.

وتفيد مصادر المحرر أن تعليمات فوقية قد وُجهت إلى مختلف القطاعات الوزارية التي تشهد تحركات من قبل النقابات المستقلة، مفادها ضرورة التعامل مع هذه الأخيرة وفتح الحوار بشأن المطالب المرفوعة التي بإمكان الوزارة الفصل فيها وذلك بهدف تجنب أي احتجاج قد تكون آثاره سلبية على العملية الانتخابية، وتؤكد مصادرنا أن بعض المسؤولين بالوزارات قد اتصلوا فعلا بممثلي بعض النقابات المستقلة وتعهدوا لهم بالعمل على دراسة كل المطالب والعمل من أجل إيجاد حلول لها، وهي وعود لم تتمكن من تحقيقها هذه النقابات بالرغم من الاحتجاجات التي شنتها من قبل.

وفعلا تراجعت النقابات المستقلة عن كل الحركات الاحتجاجية التي كانت مقررة من قبل والتي يأتي ملف النظام التعويضي، أي المنح والعلاوات، على رأس أرضية مطالبها، وبالرغم من التأجيل المتواصل لهذا الملف الذي كان من المفروض أن يُفصل فيه بصفة نهائية قبل نهاية 2008, بحيث تم تخصيص غلاف مالي في قانون المالية 2009 يخصه، إلا أن السلطات تمكنت من إقناع الطرف الاجتماعي بأن دراسة الملف يتطلب الانتهاء من المصادقة على كل القوانين الأساسية الخاصة وهو ما سيتواصل إلى غاية السداسي الثاني من السنة الجارية بحسب ما نقلته لنا مصادر مسؤولة.

ومن بين النقابات التي تراجعت عن احتجاجاتها المجلس الوطني المستقل لأساتذة التعليم الثانوي والتقني اكنابستا ومجلس ثانويات الجزائر "كلا" ونقابات قطاع الصحة الاتحاد العام للتجار والحرفيين الجزائريين بمختلف فروعه من نقابة سيارات الأجرة ونقابة الخبازين وغيرها.



ولم تكتف السلطات بهذه الإجراءات، بل لجأت إلى إقرار إجراءات أخرى تدفع تجاه التهدئة الاجتماعية، من ذلك، الفصل في ملف تسديد الأجور المتأخرة الذي بقي يُراوح مكانه لعدة أشهر رغم الاحتجاجات والاعتصامات التي قام بها عدة مرات عمال بعض المؤسسات المعنية أمام مقر الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وقد مس القرار أكثر من 21 ألف عامل بمختلف القطاعات، من بينهم الأساتذة المتعاقدين بقطاع التربية الوطنية والذين ينشطون تحت لواء النقابات المستقلة.

في السياق نفسه، تم توجيه تعليمات صارمة إلى مختلف رؤساء الدوائر والولاة تأمرهم بتوزيع أكبر عدد من السكنات الاجتماعية والتساهمية وكذا الأنواع الأخرى الجاهزة قبل الانتخابات الرئاسية المقبلة وهو ما بدأ يتجسد بشكل واضح من خلال الحصص الهامة الموزعة خلال الفترة الأخيرة بمختلف الولايات.

إضافة إلى ذلك، يرتقب البدء في تطبيق الزيادة في منحة التضامن الجزافية بتاريخ 28 فيفري، التي يستفيد منها 750 ألف شخص معوز وهي خاصة بالفئات التي ليس لها أي دخل، وسترتفع من 1000 دج إلى 3000 دج وتخص أساسا حوالي 400 ألف شخص مسن و شخص معاق إعاقة جزئية وأشخاص مصابين بأمراض مزمنة معيقة، وكذا حوالي 60 ألف امرأة أرملة أو مطلقة تعيل أطفالا صغار السن وعديمات الدخل ومعوزات اجتماعيا.

ويذهب بعض المتتبعين للشأن الاجتماعي والاقتصادي إلى التأكيد أن الوعود التي التزم بها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة خلال إعلانه الترشح للرئاسيات والمتمثلة في استثمار 150 مليار دولار وتوفير 3 ملايين مليون منصب شغل خلال الخمس سنوات المقبلة تأتي كذلك في إطار التهدئة الاجتماعية إضافة عن كونها التزامات مترشح، ولا يستبعد في الإطار ذاته أن تقوم الحكومة خلال الأيام القليلة القادمة بالإعلان عن إجراءات أخرى جديدة تمس الجانب الاجتماعي ويتم استغلالها لتهدئة الجبهة الاجتماعية التي تبقى قابلة للتحرك في أي وقت، كما لا يستبعد أن يقوم الديوان الوطني للإحصاء بنشر أرقام عن مختلف القطاعات وما تم تحقيقه على المستوى الاجتماعي في المرحلة الأخيرة بما في ذلك نسبة البطالة والحظيرة السكنية الجديدة وغيرها.

والسؤال الذي يبقى مطروحا هو، هل تتمكن فعلا النقابات المستقلة من تحقيق مطالبها عبر الاستجابة لمطلب السلطة المتمثل في التهدئة عشية الرئاسيات وبذلك تسير ولو لفترة محدودة وفق الطريق الذي اختار أن يسير فيه الاتحاد العام للعمال الجزائريين، أم أن السلطة تعمل على تطبيق المقولة القائلة بأنه لكل مقام مقال وينتهي الأمر مباشرة بعد انتهاء الرئاسيات ؟

مشاريع الإسكان في الجزائر

هناك مغالطة كثيرا ما تستعمل عندما يتعلق الأمر بتقييم بعض المشاريع تقييما موضوعيا وهي اللجوء للغة الأرقام والاحصائيات، وهي لغة تعطي الانطباع بوجود جدية في التعامل مع القضية وهذه الجدية معززة بلغة الأرقام ولكن في الحقيقة كثيرا ما تستعمل الأرقام لاخفاء الوجه الحقيقي للمشكلة و مِن ثم تغييب التقييم الموضوعي المطلوب.

كتب: رياض حاوي

■ وإذا وقفنا قليلا عند لغة الأرقام فإن ملف السكن في الجزائر الذي انطلق بوعد كبير يتمثل في انجاز مليون سكن اجتماعي تتكفل الدولة بانجازه في فترة خمس سنوات أي من 2004 إلى نهاية 2009 ، وقد أظهرت الأرقام التي نشرتها بعض وسائل الاعلام في وقت سابق إلى أنه ومنذ جانفي 2005 إلى غاية منتصف السنة الماضية تم استيلام 583,888 وحدة سكنية ضمن جميع الصيغ، حيث استلم 132,810 وحدة سكنية في 2005 و177,792 في 2006 و179,983 في 2007 في حين استلم خلال السداسي الأول من 2008 الماضي 93,638, أما المشاريع التي هي في طور الإنجاز فتبلغ 542,075 وحدة سكنة، أما المشاريع المبرمجة والتي لم تنطلق بعد فتبلغ 342,880 وحدة سكنية مما يجعل مجموع هذه البرامج يفوق 1,450 مليون سكن وقد استهلك السكن العمومي الإيجاري ما نسبته 44 بالمئة من إجمالي البرنامج الخماسي وخصصت له ميزانية تبلغ 31,73 مليار دينار، أما السكن الريفي فاستهلك 32 بالمئة من هذه الميزانية، في حين استهلك البيع بالإيجار 9 بالمئة بينما بلغت حصة الإعانات العمرانية 15 بالمئة.

وهنا علينا ان نسجل أن مجهودات كبيرة بذلت من أجل الخروج بحل عملي لمشكلة السكن يخفف العبء عن مئات بل آلاف العائلات المحرومة من السكن الاجتماعي الذي يليق بمتطلبات الحياة المعاصرة، وشهدت البلاد تطورا ملموسا في هذا الجانب في فترة وجيزة وانفجرت المشاريع العمرانية في مختلف الولايات ومختلف ربوع الوطن وتحركت عجلة التنمية المرافقة لاطلاق مثل هذه المشاريع الكبرى.

وقد ساعدت السيولة المالية التي تدفقت السنوات الماضية جراء الارتفاع غير المسبوق للنفط الخام في الأسواق الدولية على توفير الأغلفة المالية المناسبة لتحريك هذا الملف الذي يحظى بأولوية اجتماعية وسياسية عالية المستوى

في بعض الملفات لا مناص من التقييم الكيفي أن يصاحب التقييم الكمي ويسبقه من حيث الأولوية والأهمية، لأن انجاز المشروع بأية كيفية سيصبح مثل عدم انجازه أصلا لان ما نبغيه من تحسين للمستوى وتطوير للخدمات وخلق لفرص عمل جديدة لم يتحقق. وسنفاجأ في دولة مثل الجزائر تشهد معدل بطالة مرتفع ومتعاظم يوما بعد يوم تم اللجوء إلى العمالة الأجنبية لتساهم في عمليات البناء وبشكل واسع.

طبعا من الصعب أن نهضم كيف يتم توظيف البطالين من دول أخرى وحرمان مواطنين في أمس الحاجة لذلك من نفس الفرص، ونحن هنا لا نريد أن نعلق على ما يتردد في بعض الأوساط بان "العامل الجزائري" كسول ولا يريد ان يعمل، لأن هذا نوع من خداع النفس وإخراج النقاش من نطاقه الطبيعي إلى نطاق ثقافي وانثربولوجي لتضليل المستمع.



مشروع الإسكان ربما هو أهم مشروع عرفته الجزائر منذ عدة عقود وكان من المفروض أن يكون رافعة حقيقية للاقتصاد ككل، فالحكومات التي تهتم بالسكن هي في حقيقة الأمر تهتم بمحرك أساسي لعشرات القطاعات الاقتصادية دفعة واحدة لأن بناء وحدة سكنية تتداخل فيه عشرات الخبرات والتخصصات المهنية ومئات المواد المصنعة المتعلقة بالبناء. ولذلك على الرغم من أن الاحصاءات تقول)؟(بانه تم استلام فعليا ما يزيد عن نصف مليون وحدة سكنة حتى نهاية السنة الماضية وان النصف الباقي سيسلم في آجال قريبة جدا وهو رقم ضخم وانجاز هام إلا أن أثر هذا الرقم الضخم على شبكة الاقتصاد لا يكاد يرى.

وبتعبير آخر قطاع السكن هو صانع الفرص الاقتصادية الكبرى للاقلاع والنهوض إذا تم الاستفادة من ذلك بطريقة سليمة ومتدرجة دون القفز على سلم الأولويات والاهتمام فقط بالمنجز الكمي لارضاء جهات عليا أو دنيا بغض النظر عن الطرق والكيفيات التي تم بها تحقيق مثل هذا المنجز.

فمن البديهيات أن قطاع البناء عموما ومنه قطاع الاسكان هو فرصة لخلق عشرات الصناعات الصغيرة التي تسير بشكل متواز مع المشروع تخدمه وتستفيد منه في كل المجالات التي يتصورها الانسان سواء التصنيع لمختلف ما تحتاجه الوحدة السكنية مثل صنابير المياه أو مصابيح الكهرباء أو ديكورات البيت النسيجية أو تهيئة الأراضي وتجميل المحيط وما إلى ذلك من نجارة وحدادة وسباكة ... الخ وبعد انجاز السكن تاتي فرص عشرات الوظائف الخدمية الأخرى التي تكون كلها منصبة على خدمة المشروع قبل وأثناء وبعد اكتماله. إنه آلة جبارة لتحريك عجلة الاقتصاد كله واخراجه من الدائرة المغلقة.

بيد أن الامر عندنا يبدو بشكل مختلف نوعا ما؟

فمشروع الاسكان تم التعامل معه بنفس العقلية القديمة التي عرفتها الجزائر منذ مطلع السبعينات والتي عرفت بعبارة "مصانع المفتاح في اليد" وهنا يمكننا القول أن الوضع مشابه ولكن بمفهوم "السكن المفتاح في اليد" فمعظم المشاريع الكبرى تم تسليمها لمقاولين أجانب وبشروطهم، وهؤلاء وضع أمامهم هدف واحد وهو تسليم المشروع في أجل محدد. أما كل المحيط الاقتصادي الذي يحيط بالمشروع فقد تم تجاهله بصورة أو بأخرى، فالسكن ينجز بعمالة أجنبية، وبمواد بناء أجنبية، وبمنتجات صناعية كثير منها إن لم يكن معظمها مستورد، أي ان المشروع الذي يفترض فيه بانه اهم مشروع لتخفيف حدة البطالة وتقديم دعم غير مباشر لعشرات المؤسسات الاقتصادية الصغيرة وتأهيلها واعطائها الفرصة التاريخية كي تتعلم وتتطور مر عليها القطار دون ان تتاح لها فرصة لركوبه.

والذي حصل أن جزءا من السيولة النقدية التي جاءتنا عن طريق بوابة النفط غادرتنا عن طريق نافذة المقاولات الأجنبية، بدلا من أن تدور بين قطاعاتنا الاقتصادية كما تدور الدماء الجديدة التي تبث الحياة في الجسد الواهن.

طبعا صانع القرار كان أمام هاجس توفير السكن بأية كيفية بدلا من ترك ملايين الجزائريين في ظروف سكنية متدنية جدا، وهذا بكل تقدير هاجس مشروع ومقلق ولكن غاب بشكل او بآخر عن صانع القرار ان الفرص التاريخية لا تأتي كل أسبوع، فتفويت فرصة تحريك الاقتصاد عن طريق رافعة البناء قد يكون خطأ تاريخي يسجل في سجل الأخطاء الاستراتيجية. وقد جاءت الأزمة المالية العالمية الراهنة التي جعلت أسعار النفط تتدنى بشكل غير مسبوق لتعزز من هذا التقييم الذي يعتبر إنجاز مشروع السكن بالكيفية التي تمت فرصة ضائعة إذا نظرنا للصورة بشكل شامل ودقيق.

وما يميز مشاريع السكنات المنجزة هو تركيز غير عاد على الكم دون كبير التفاف أو اهتمام بنوعية السكنات المنجزة ومحيطها حتى وكأن المواطن الجزائري ليس له الحق في أن يتمتع كما بقية عباد الله في هذه الأرض بالسكن اللائق والمحيط المتأنق والخدمات الميسرة. ولذلك عندما نقارن ما أنجز عندنا من عقارات وما هو منجز عند غيرنا وبذات الوسائل وربما بامكانيات مالية أقل سنجد أن هناك فرق كبيرا من الناحية الجمالية وتنسيق المحيط وفضاءات الأطفال مما سينعكس حتما على الذهنيات والمنظومة الاجتماعية على المدى البعيد مما يساهم في ترقية وعي الانسان بمحيطه ومسؤوليته اتجاه سكنه ويخفف من حدة العنف الاجتماعي بتوفير فضاءات التلاقي والتعايش والمشاركة وكلها عوامل كانت في متناول اليد لو تأنينا قليلا واعتبرنا المشروع له طابع مصيري واستراتيجي وليس مشروعا لحل أزمة السكن فقط.

فقه الاقتصاد

الرأسمال الأجنبي والمناخ الاستثماري

بقلم: رياض

هناك قاعدة بسيطة تتعلق بـ"الاستثمار الأجنبي" تقول أنه لا استثمار حيث لا أرباح، فليس هناك رجل أعمال يقدم على ضخ ملايين الدولار في أرض قاحلة إلا إذا كان رجلا معتوها سرعان ما يحجر عليه. والذين يتصورون ان الحل الذي لم يطبق بعد هناك اتاحة المجال للاستثمار الأجنبي أو بعبارة أوضح: رفع كل القيود عن الرساميل الأجنبية حتى يتم توظيفها في الأنشطة الاقتصادية المرخص لها قانونيا وتعود بالنفع على البلد المستفيد وطبعا على صاحب الاستثمار.

وبكل صراحة وضع الجزائر لا يسمح بفرض أية شروط على المستثمر الأجنبي لأنه بكل بساطة القاعدة التفاوضية للطرف الجزائري هشة إلى أبعد الحدود ولا يستطيع الصمود طويلا أما الشروط أو المناخ المثالي الذي يطالب به المستثمر الأجنبي مهما كانت جنسيته.

المستثمر الاجنبي يطلب بكل بساطة سوقا حرة مفتوحة ليس فيها قيود، ويطلب غض الطرف من السلطات الادارية عن المخالفات التي هي أصلا جزء من "الخطة" الاستثمارية، ورقابة معدومة على حركة الاموال دخولا وخروجا، وضرائب منخفضة أو بالأحرى قريبة إلى الصفر وفترة سماح لا تقل عن خمس سنوات، وتدخل ضعيف من البيروقراطية المحلية، وقانون عمل مليئ بالثغرات لصالح المستثمر، وإضعاف روح الحركة النقابية في المؤسسات التي ينشؤها الرأسمال الأجنبي.

بمثل هذه الشروط او الحوافز يمكن للمستثمر الأجنبي أن يبدأ في التفكير في دخول السوق الوطنية، وعلينا طبعا أن نلاحظ باننا لسنا في مقام الحديث عن شروط وحوافز بقدر ما نحن نتحدث عن رفع للقيود، أي مجرد توفير مكان لنشاط المستثمر الاجنبي بشروطه وحسب مزاجه.

هذا السقف المرتفع للمستثمر الأجنبي مدعوم بالمناخ الاقليمي عموما حيث لم تتردد دول من الغاء القيود والشروط شكليا ومن قامت بوضع بعض التقييدات في اللوائح نجد أن هذه التقييدات زالت أثناء التنفيذ في أرض الواقع بسبب شبكة البيروقراطية المستنفعة من الأجنبي والتي تقوم بخدمته وحمايته وتسهيل كل الخروق القانونية -ان وجدت قوانين- أمامه حتى يعمل براحة بال. ولذلك يرفض المستثمر أن يذهب لبلد متشدد أو حتى صارم ويفضل المناخ المتسيب والمفتوح على كافة الاحتمال ما عدا احتمال القانون وهيبة القضاء.

وعلى الرغم من هذا كله لم تتدفق الاستثمارات الأجنبية والرساميل بالشكل المأمول، وتسجل معظم الاحصائيات أن هذه الرساميل ذات طابع شكلي ومعظمها يتركز على نواحي محدودة وضيقة وفضلت معظم المشاريع الذهاب لدول واعدة مثل جنوب شرق آسيا كفيتنام وتايلاندا وماليزيا أو أمريكا اللاتنية كالبرازيل والمكسيك والأرجنتين وغيرها.

والسر وراء هذا الاحجام هنا والهرولة هناك، هو المناخ الاستثماري، والمناخ هنا ليس القوانين وتعاون الحكومة كما يروج البعض فهذا جزء بسيط من المعادلة، المناخ الحقيقي للاستثمار هو وجود بنية اقتصادية قوية جاذبة للاستثمار الأجنبي كمصدر للدخل الاضافي للمستثمر، أي ان السوق المحلي مدعوم بقدرة شرائية قوية وعمالة مؤهلة هي المناخ الحقيقي والتصدير هو تحصيل حاصل من باب زيادة الخير خيرين .

وبمعنى آخر الاستثمار الاجنبي هو نتيجة النهضة الاقتصادية المحلية وليس هو عنصر في هذه النهضة، يأتي كي يستفيد منها وليس العكس كما يتوهم الواهمون.



ماذا بقي من الجامعة العربية ؟

بقلم الدكتور : نجيب بن خيرة

لا زلت أذكر عندما زرت القاهرة آخر مرة قبل أربع سنوات، ومررت من أمام مبنى الجامعة العربية، ورفعت رأسي إلى الساعة الكبيرة في أعلى البناية أريد معرفة الوقت ، فوجدت ساعة "البيت العربي الكبير متوقفة"، ولما رجعت إلى الفندق مساء كتبت خاطرة بعنوان "العرب خارج الزمن".!

وتتعاقب السنون، وتُثبت الأحداث يوما بعد يوم أن الجامعة العربية ـ أقصد "البيت العربي الكبير" ـ أنشئت من أول يوم كمنظمة لتجمع شتات العرب، وترعى حقوقهم ، وتنطق باسمهم ، وتدافع عن قضاياهم ... ولكنها ولدت كسيحة الأطراف، مشلولة الحركة متعثرة الخطى ، تعيش خارج الزمن ..وهكذا أريد لها أن تبقى وتعيش. !!

إن القاصي والداني ، والقريب والبعيد ، يعلم أن هذه الجامعة ولدت بإرادة غير عربية، نبتت في أذهان الإنجليز، فأوعز وزير خارجية بريطانيا "أنتوني إيدن" منذ سنة 1941 إلى سنة 1944 إلى مصر بالإسراع إلى تأسيسها ، وظل يتواصل مع وزير خارجيتها "مصطفى النحاس" لإقناعه بذلك ، ويقطع الطريق على جميع المحاولات التي كانت تسعى لإنشاء وحدة الجامعة الإسلامية التي كانت دعوة يرددها المفكرون والعلماء والمصلحون كبديل للخلافة الإسلامية التي غربت شمسها في الربع الأول من القرن الماضي ....

ووعدت بريطانيا العرب بمساعدات غير مشروطة، في حين مكّنت الجماعات الصهيونية من التغلب على قوات الجيوش العربية عام 1948, والجامعة في طور الإنشاء و التطوير ...وتمكن الصهاينة من احتلال فلسطين، مرورا بالعدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ، والعدوان الإسرائيلي على ثلاث دول عربية، مصر وسوريا والأردن عام 1967, ثم الاعتداء الإسرائيلي على لبنان عام 1996, وبقيت منظمة العرب الكبرى طوال عقود تتفرج على الهزائم، وتلعق الجراح، وتستمرئ الهوان عاما بعد عام ... بالرغم مما تسطره في مواثيقها من أحكام اتفاقية الدفاع العربي المشترك، ولكنها تظل حبرا على ورق .!

والحقيقة أن إخفاق المنظمة لم يكن في التعامل مع النزاعات العربية الإسرائيلية فحسب، بل امتد هذا الإخفاق إلى حل النزاعات العربية العربية، فمن بين سبعة وستين نزاعا بين الدول العربية في الفترة 1945 ـ 1981 لم تقم الجامعة إلا بتسوية ستة نزاعات فقط .. أي بنسبة لا تكاد تبلغ 9 بالمائة، وحتى هذه التسوية كانت في ظل انشغال العالم يومئذ بصراعات الحرب الباردة بين المعسكرين، مما جعل العرب يمررون هذه التسويات وكأنها من صُنعهم.!

وتعاقب على الأمانة العامة للجامعة خمسة أمناء، سادسهم موسى ...وجميعهم كان الفشل هو الأصل في مسيرته السياسية، أما النجاح فهو عارض واستثناء .!

فلم تفلح محاولات دعم العمل العربي الجماعي، وحشد الجهود العربية من أجل التصدي للتحديات التي واجهتها ولا تزال الأمة العربية. والتي يجمع بينها ما لم يجمع بين أي شعوب أخرى ظن وفشلت محاولات الوحدة السياسية في مطلع الستينات، وظلت أوهام القومية العربية نكتة القرن، وأضحوكة الزمان !، كما فشلت الوحدة في الجوانب الاقتصادية ، مثل معاهدة الوحدة الاقتصادية عام 1957, وصادقت عليها خمس دول عربية ، ثم مشروع السوق العربية المشتركة عام 1964, والذي كان يهدف إلى إقامة اتحاد جمركي بين الدول الأعضاء ..لم يتحقق من ذلك شيء.! بل لم تستطع هذه الدول أن تنشئ حتى خط سكة حديد بين أراضيها ..وذلك أضعف الإيمان .!

وهاهي الجامعة العربية اليوم في ظل التحديات الكبرى التي تواجهها الأمة تثبت أنها فقدت مبررات بقائها، ولم يبق منها إلا هيكل منصوب يقف شاهد زور على المذابح و المجازر و العدوان ..بالرغم مما يحاوله البعض من تجميل صورة هذه المنظمة، وإخفاء ملامح الشيخوخة التي دبت في جسمها المتهالك، ولكن هيهات أن يُصلح العطار ما أفسده الدهر .!!

وعندما تبقى هذه الجامعة حبيسة "ميدان التحرير" ناطقة باسم وزارة الخارجية المصرية، التي تحاول ـ للأسف ـ أن ترفع مطالبها من المقاومة الفلسطينية أكثر من سقف مطالب إسرائيل!،فإن ذلك مسوغ لبعض الدول العربية أن تبحث لها عن كيانات إقليمية موازية في الأجنحة والأطراف، واحدة في الخليج، وأخرى في المغرب العربي، وأخرى في قلب بلاد العرب.

وهذا التشظي زادته حروب القمم العربية في الآونة الأخيرة، وانعكاس الضعف الذي وصلته منظمة العرب الكبرى، والانقسام بين معتدل وممانع ، مقاوم ومساوم ... والشعوب العربية بين هذا وذاك ترمق الهزائم تترى، وترسخ لديها القناعة أنه لم يعد لمنظمة العرب دور في جمع الكلمة، وتوحيد الصف، والكلمة اليوم أولا وأخيرا هي للمقاومة ، أو على حد تعبير بعضهم "المقاومة هي جامعة الشعوب العربية"!!، لأنها سر القوة والعنفوان، والكرامة والشرف، فقد يئست هذه الشعوب من منظمات تُفرّخ العمالة والنخاسة السياسية، ولا يرجى الخير منها ولا من زعمائها وأمنائها، وقد شهد شاهد من أهلها



عمرو موسى عندما قال في حواره الأخير مع قناة الجزيرة وبالحرف الواحد :"العالم العربي وصل إلى حالة من الفشل، إلى حالة من الانقسام غير مسبوقة" وخطير أن يعترف الأمين العام للجامعة العربية ومؤتمنها أن الاجتماعات الأخيرة لبعض الكيانات العربية الإقليمية هي محاولة أمريكية للتعاون مع المعتدلين.!

وهذا بلا شك اعتراف من مسؤول كبير بخلفيات مواقف بعض الدول العربية، وإملاءات أمريكية ومن ورائها تل أبيب ...مما يفسر حجم التواطؤ الذي تقدمه هذه الأنظمة لخدمة مصالح أعداء الأمة التي ما أصبحت تنطلي عليها أكذوبة السلام، والحوار، والمفاوضات، والتسويات. !!

إنه بعد "هولوكوست غزة" تآكلت ثقافة السلام مع إسرائيل رغم تقديم مختلف فنون الانبطاح والإغراء الدسم بالتطبيع، وحوار الأديان، والتنازل عن نخوة عربية كذوب .!

ولم يبق اليوم إلا قرار جريء وشجاع ، وهو وأد هذه المنظمات التي لم يؤسس بنيانها على فكر من ثوابت الأمة، وإخلاص لخدمة قضاياها الكبرى .. ولا ضير في ذلك ، فكم من الأمم استبدلت مؤسساتها التي أخفقت بمؤسسات صنعت لها المجد و التمكين .

والجامعة العربية لا تعاني من ضعف بنيتها وجوانبها التنظيمية فحسب، بل تعاني من الفلسفة التي بنيت عليها، والتي تثبت الأيام تهافتها وإفلاسها ...

فليبحث الشرفاء والأحرار بعد اليوم عن منظمة بديلة ، يصنعونها على أعينهم ، ويسطرون قوانينها ونظامها بعيدا عن وصاية أجنبية أو رعاية خارجية، ويضخون فيها دما جديدا يسري بالحياة في العروق المتصلبة، بعد سنوات من الوفاق العربي المخادع، والذي قاد إلأى حال من الهوان ليس له مثيل في تاريخ العرب الطويل.

وليضع الجميع في الحسبان أن معصم الوحدة العربية هو الدين الذي جمعهم أول مرة .. بعدما كانوا أشتاتا من البدو لا يجمعهم رباط، ولا يؤلف بينهم نظام، فصاروا بفضل الدين الجامع أنموذجا فريدا يصنع العظائم ، ويبلغ الغايات العصية.!

أليس الدين هو الذي جعل شباب المقاومة في حرب غزة يصدون أعتى آلة حربية في المنطقة، ويجبرون الجنود الإسرائيليين على لبس الحفاضات! ولا يبرحون دباباتهم، ومركباتهم، لأنهم يخافون أن تفترسهم الأسود الضارية؟ .!

ألم يكن هؤلاء الأبطال أطفالا في الانتفاضة الأولى عام 1987 يبارزون الدبابات الإسرائيلية بالحجارة و المقاليع، إنهم شبوا عن الطوق، وأتقنوا المعرفة التي تصنع الصاروخ، وحوّلوا المقاليع إلى منصات تطلق الصواريخ، فترهب المستوطنين في المغتصبات آناء الليل وطراف النهار .!

ونستطيع أن نقول دون مواربة أو مداهنة إن كل سبيل يستبعد الأخوة الإسلامية الجامعة، ويتجهم للدين ، ويمزق الولاء الموروث له، ويّحيي النزعات القومية التي بدأ الاستعمار بزرع فتنها بين العرب والترك قديما، وهو اليوم يزرعها بين العرب والفرس، هو دعم للاستعمار الحاقد حتى يبلغ أهدافه، ويحقق أطماعه .

وابن خلدون عندما غاص في أعماق النفس العربية ، وتابع السلطان السياسي للعرب مع اتساع الدائرة الإسلامية، ودخول الناس في دين الله أفواجا، أكّد أن "العرب أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، وذلك للغلظة والأنفة، وبعد الهمة، والمنافسة على الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، لذلك لا يصلح لهم الملك إلاّ بصبغة دينية، من نبوة أو ولاية، أو أثر من الدين على الجملة ..".

وقد يقول قائل: أليست هناك منظمة المؤتمر الإسلامي ،وهي تضطلع بدور رائد في عراك الأحداث الدولية الراهنة ؟، وهذه المنظمة لها حديث في غير هذا المقام، ومراجعة لدورها في غير هذا المقال.

هاهي الجامعة العربية اليوم في ظل التحديات الكبرى التي تواجهها الأمة تثبت أنها فقدت مبررات بقائها، ولم يبق منها إلا هيكل منصوب يقف شاهد زور على المذابح و المجازر و العدوان ..بالرغم مما يحاوله البعض من تجميل صورة هذه المنظمة، وإخفاء ملامح الشيخوخة التي دبت في جسمها المتهالك، ولكن هيهات أن يُصلح العطار ما أفسده الدهر .!!

الفضائيات العربية وثقافة العولمة

ظهر هذا المصطلح "العولمة" مع نهاية الحرب البادرة وسقوط اليسار الشيوعي كما تزامن مع ظهور الفضائيات وانفجار الثورة المعلوماتية، نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، وكان ولا يزال لهذا المصطلح مدلولاته السياسية والاقتصادية والثقافية، المعبرة عن تصور جديد للنظام الدولي، الذي تهيمن عليه قوى الغرب المتغطرسة. والعالم العربي الذي هو جزء من هذا العالم الذي تعاد صياغته وفق قيم العولمة المفروضة، لا شك أن له تفاعلاته وانفعالاته مع هذا الواقع الذي له ما له وعليه ما عليه، كأي واقع في التاريخ .

إعداد: الأستاذ الشريف مرزوق
جامعة أم البواقي

■ مفهوم العولمة: هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Globalization التي ظهرت أولا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، ومن ذلك تعميم نمط من الأنماط يخص بلدا على العالم كله. وفي اللغة الفرنسية ترادف العولمة Mondialisation التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود البعيد عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك، أما اللامحدود فالمقصود به العالم أي الكرة الأرضية، فالعولمة إذن تتضمن معنى إلغاء حدود الدول القومية في المجالين الاقتصادي والثقافي وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها. وهناك من يفرق بين العولمة والعالمية Universalitéو Universalisme التي هي طموح إلى الارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمي. وهكذا تعرف العولمة على أنها مجموع المحاولات الرامية إلى فرض نموذج ثقافي واقتصادي وسياسي موحد على العالم لهيمنة القطب الواحد.

أبعاد ثقافة العولمة:

تتضمن ثقافة العولمة ثلاثة أبعاد أساسية:

البعد الاقتصادي: بمعنى أن العولمة الاقتصادية نتاج للفكر الرأسمالي الذي يقوم أساسا على قدرة رأس المال على الحركة دوليا ودون عراقيل روتينية إدارية أو سياسية تسلطية ومن مظاهرها ظهور الشركات متعددة الجنسيات التي تتميز بفائض إنتاج ضخم، ونشاط استثماري واسع، واحتكارها للتقنية.

ومن أبرز المؤسسات الاقتصادية للعولمة صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وكلها تحدد اقتصاد الدول النامية وترسم سياساتها كخصخصة المؤسسات وتسريح العمال إلى البطالة وغلاء الأسعار نتيجة رفع الدعم عن بعض السلع المستهلكة من الضعفاء.

البعد السياسي: ومعناه فرض النموذج الغربي في الحكم في التعددية وحرية الرأي والتعبير أو بما يسمى الديمقراطية والتي لها وجه سلبي كما أن لها وجه إيجابي.

ويتمثل الشق السلبي في الاعتماد على القوة المالية في الانتخابات والكيل بمكيالين نحو الدول النامية حسب المصالح والأهواء.

البعد الثقافي: وهو أخطر الأبعاد لأنه يهدف إلى صياغة فكر وسلوك الإنسان بوسائل متعددة وفرض ثقافة الأقطاب الاقتصادية العالمية الكبرى على ثقافات باقي الدول ولذلك فهي تواجه لأنها تتعارض مع الهوية القومية وتسعى للقضاء على التنوع الثقافي.هي الثقافة التي تعكسها العولمة في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ...إلخ والتي تؤثر بالتالي على القيم والسلوكيات الاجتماعية والتربوية والأخلاقية السائدة في مجتمع ما معتمدة على الإعلام وخاصة الإعلام السمعي البصري لترويج تلك القيم والسلوك.

الفضائيات العربية وثقافة العولمة:

يقوم الإعلام العربي بدور مزدوج في تعامله مع ثقافة العولمة: النقل والترويج من جهة والنقد والمهاجمة من جهة اخري.

والأهم في كل ذلك هو مدى قدرة الإعلام العربي أن يكون على الأقل فاعلا ومنفعلا في تيار العولمة يأخذ ويعطي، يتلقى ويرسل، منطلقا من خصوصيته. وهذا التفاعل يتوقف على مواجهة عدد من التحديات التي تؤثر على مسيرته سلبيا.

النظريات المعتمدة للدراسة:

إن دراسة التأثيرات الثقافية للإعلام الدولي تنطلق من أكثر من نظرية أو مدخل فلسفي، ولكن أقرب هذه النظريات للدراسة هي نظرية التبعية، ونظرية إسقاط الثقافة.

أ - نظرية التبعية في العولمة: تركز على سيادة منتجات الثقافة الغربية (الأمريكية) كنتيجة لنمط جديد في التوسعة والإمبريالية الغربية وتبذير وانهيار قواعد القيم. واعتبار التبعية الإعلامية سبب واضح وقوي في الهيمنة الثقافية وما ينجم عنها من تأثيرات سلبية كالاغتراب والتشابه، مسخ الهوية، إلغاء الخصوصية...

وهذا ما يفسر تأثير البرامج وأساليب الطرح والقضايا والقيم التي تبثها الفضائيات العربية بفكر وثقافة العولمة.

ب - نظرية إسقاط الثقافة: تستند إلى نص الخرافة الأمريكية وهي أن الجمهور الأمريكي لا يحب البرامج الأجنبية بينما الجمهور غير الأمريكي متفتح على البرامج الأمريكية.

طرح الإشكالية وهدفها:

تتبلور إشكالية الموضوع من خطورة بعض المضامين التي تبثها الفضائيات العربية من جانب وخطورة الثقافة التي تروجها العولمة من جانب آخر. فالانفتاح الإعلامي يهدد بالاستلاب، والانغلاق في المقابل يهدد بالإفقار والانحطاط والتقهقر الحضاري. فكيف يتم التوفيق بين مبدأ حرية الإعلام وإلغاء كافة القيود (حق الإنسان في الاتصال) ومبدأ ضرورة حماية الهوية الذاتية الثقافية الوطنية لكل بلد من أن تضمحل أو تستبدل بالثقافات الغربية.

والغاية من طرح هذا الموضوع معرفة ما إذا كان لثقافة العولمة تأثيرات على مضمون الفضائيات العربية؟ وما نوعية هذه التأثيرات (إيجابية –سلبية) على أربعة مستويات (البرامج، القضايا، أساليب الطرح، القيم) وكذلك الوقوف على أسباب وعوامل تأثر الفضائيات العربية بثقافة العولمة.

تأثير ثقافة العولمة على برامج الفضائيات العربية:

من المؤكد وجود علاقة وطيدة بينهما، فالتأثير حاصل وخاصة في البرامج التسويقية الدعائية والأفلام والمسلسلات والغناء والرقص والبرامج المد بلجة فكلها وليدة ثقافة العولمة.

ثقافة العولمة والفضائيات العربية:

هناك علاقة وطيدة بين ثقافة العولمة وتركيز الفضائيات العربية على طرح قضايا وموضوعات معينة ومن ذلك: حقوق الإنسان، صيحات الموضة، الحرية والثقافة الجنسية، السلام والتطبيع مع إسرائيل، التدخل الأمريكي في شؤون الدول العربية، الديمقراطية في الأنظمة العربية، الخصخصة في الأنظمة الاقتصادية العربية، مساواة المرأة بالرجل بمعنى دمج المرأة في المجتمع والرجل في المنزل، اضطهاد الأقليات الإسلامية، تحرير المرأة الإجهاض...إلخ.

وهي قضايا قد يختلف فيها النقاش إلى حد كبير وكذا مدى سلبيتها وإيجابيتها من قضية إلى أخرى، وهل هي وليدة ثقافة العولمة أم لا؟

تأثير ثقافة العولمة على منهجية الفضائيات العربية في الطرح والمعالجة:

من نتائج العولمة أيضا على الفضائيات العربية أسلوب طرح ومعالجة مختلف القضايا والموضوعات مع اختلاف التأثير بين الإيجابي والسلبي من أسلوب لآخر.

وفي مقدمة ذلك* :الطرح النقدي الجريء والذي لم يعتده الإعلام العربي من قبل في مثل برامج: الاتجاه المعاكس، الرأي والرأي الآخر، شاهد على العصر، بلا حدود، حوار مفتوح في قناة الجزيرة.

ياهلا وبصراحة بقناة ART ، حوار صريح في MBC، ورئيس التحرير في الفضائية المصرية إلى غير ذلك

- تزايد الاهتمام بالفئات المنتجة وذوي المكانة في المجتمع من خلال البرامج الثقافية والعلمية والسياسية وغيرها.

- تزايد الاهتمام بتلميع بعض رموز الفن والرياضة واعتبارهم نجوما، والمتابع للفضائيات العربية يرى حجم المساحات الكبيرة التي تخصص للرياضة والفن على حساب جوانب أخرى.

-الطرح المتحيز والأحادي وغير المبرر لبعض القضايا أو الأفكار أو الثقافات المختلفة.

- افتعال الاهتمام بأحداث معينة.

- تسطيح الأفكار وتمييع القضايا الأساسية في حياتنا.

- الإثارة والمبالغة.

-طرح الآراء بطريقة منطقية في كثير من الأحيان.

* محاولة الغوص في اهتمامات الناس اليومية.

ومما يمكن قوله أن ثقافة العولمة أوجدت في الفضائيات العربية مجموعة من أساليب الطرح السلبية والتي تمثل النسب العالية .

تأثير ثقافة العولمة على الفضائيات العربية:

- ترديد مفاهيم الحرية والديمقراطية بالمفهوم الغربي.

- الإشادة بالفكر الليبرالي في بعض الفضائيات.

- تأكيد ضعف الحضور السياسي العربي وفاعليته ومن ذلك الموقف تجاه إسرائيل والعراق ولبنان.

- مناقشة القضايا السياسية بالنظرة الغربية.

- فتح المجال لتعدد الآراء والأحزاب والمنظمات.

- تزايد التواصل بين هموم العرب وجالياتهم في كل مكان

- الترويج للسلع والخدمات التي تقدمها السوق العالمية بمنافعها ومضارها إلى درجة تقطيع الحصص لعرضها. وأكثر السلع ترويجا أدوات الزينة الخاصة بالمرأة. وهذا إلى جانب ما يتركه هذا الترويج من آثار سلبية في غالب الأحيان على عادات العرب وخاصة الشباب في الغذاء واللباس.

- الدعوة إلى الاندماج في النظام الاقتصادي العالمي وما فيه من مخاطر على الدول النامية وإن كان آخرون يرونه إيجابيا.

- الترويج للوجبات الأمريكية السريعة (البيتزا – الهمبورجر...) من خلال الإعلانات الجذابة وبرامج الطهي الموفرة للوقت.

- الترويج للملابس الأمريكية.

الترويج لمفاهيم الاقتصاد الحر.

كلا ذلك وجد مجتمعا يغلب عليه الطابع الاستهلاكي فغي يومياته ومن ثم تنعدم عنده المبادرة وروح الإبداع وينتظر

بالإضافة إلى القيم السياسية والاقتصادية فإن القيم الاجتماعية لها نصيبها الأوفر من التأثر السلبي بالعولمة وإفرازاتها يتضح ذلك في- :

-المضامين الإباحية غير الملائمة لمنظومة القيم الإسلامية والتقاليد العربية من خلال أفلام ومسلسلات وأغاني الفيديو كليب.

- طرح المساواة بين الرجل والمرأة بطريقة غربية.

- التقليد في الأزياء وأسلوب الحياة.

- التركيز على الأغاني والموسيقى الغربية (الروك والبوب.)

- التركيز على المفاهيم الشائعة في الغرب للحب والعلاقات العاطفية من خلال الأفلام والمسلسلات.

- الترويج للسلوك العدواني لدى الأطفال من خلال برامجهم وألعابهم ومن خلال قيم الانتصار للأكثر دهاء، السيادة للقوة الجسدية، الاستيلاء على حقوق الآخرين، العنف لذات العنف.

أسباب تأثر الفضائيات العربية بثقافة العولمة:

هناك أسباب عديدة تقف خلف تأثر الفضائيات العربية بثقافة العولمة، فإن لكل ظاهرة أسبابا توجدها وتدعو إليها وهي:

-غلبة نزعة الربح السريع على حساب الرسالة الإعلامية العامة.

-التركيز على إرضاء الجمهور وأذواقه على حساب القيم.

- عرض البرامج الأجنبية بالتقنية العالية.

-المرجعية الفكرية والثقافية للقائمين على الفضائيات العربية تفرض عليهم توجهات معينة تخدم مبادئهم وأغراضهم.

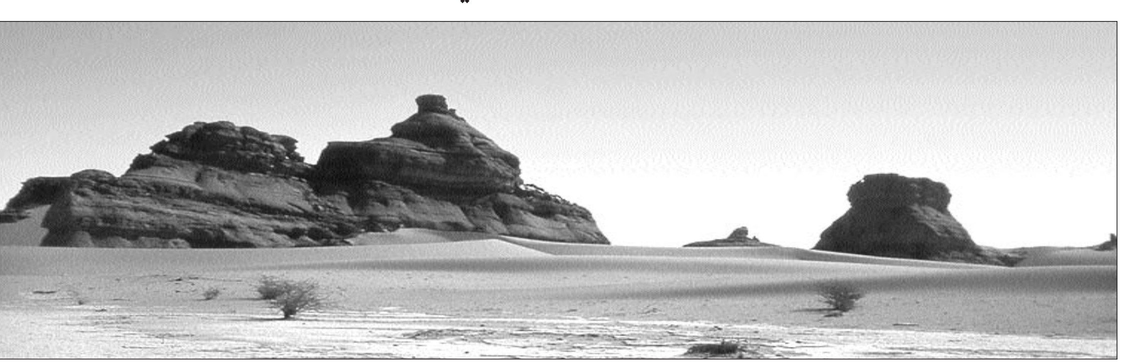
-الاعتقاد بأن تقليد النموذج الغربي عامل نجاح.

- المنافسة على اجتذاب المشاهد العربي.

-عجز الفضائيات العربية عن تغطية ساعات الإرسال بالمنتج المحلي لأسباب اقتصادية أو فنية أو بشرية.

ما الجمال؟ 4/2

أورخان محمد علي



الجمال في الفلسفة

وأقدم حوار نعرفه حول الجمال في تاريخ الفلسفة نجده في حوار "هيبياس الكبير" مع سقراط، فهذا السوفسطائي المشهور حاول عبثا وضع تعريف جامع وشامل للجمال يكون مقنعا لسقراط.

ولكن أول من استعمل مصطلح "علم الجمال Aesthetice" حسب رأي "س. رابوبرت" هو "بومجارتن" (1762–1714) فهو أول من جعل الجمال فرعا مستقلا في الفلسفة. وقد قيل أن هناك تعاريف بعدد الناس الذين عاشوا في هذا العالم. وصعوبة وضع تعريف جامع ومانع للجمال كان سببا في أن علم الجمال فرع من أصعب فروع الفلسفة، وأقلها نموا وتقدما. ومع هذا فلا بأس من ايراد بعض الآراء حول الجمال :

يرى سقراط أن الجمال مرادف للمفيد والنافع، ولا يقصد هنا بالنافع المنفعة المادية المحسوسة فقط، لأن اللذة والمتعة النفسية الناتجة من الإحساس بالجمال يدخل ضمن المنفعة والفائدة.

أما أفلاطون فهو يرى (حسب نظريته في المثل) أن الجمال شيء إلهي ومعنى مطلق موجود في جوهر الأشياء لا يتغير، وهو مرادف للخير. والإنسان عندما يشاهد الجمال الذي هو ظل خفيف من الجمال المطلق الذي رآه في عالم المثل الذي عاش فيه قبل حياته الدنيوية هذه يتذكر ذلك الجمال بشكل غامض ويحس باللذة والمتعة التي سبق وأن شعر بها هناك. إذن فهذا هو سر الجمال، وهذا هو سر شعورنا بالمتعة منه.

ويرى أرسطو أن الجمال موجود في الطبيعة بوفرة ولا سيما في المخلوقات الحية، ويقول بأن هذا الجمال دليل على وجود إله بارع الصنعة. وكان يشجع تلاميذه المبتدئين للإنتباه إلى وجود الجمال والصنعة الرائعة حتى في أكثر الحيوانات بدائية. فهو يقول في كتابه "طبائع الحيوان":

"لأنه إذا لم يكن لبعضها من الحسن والجمال ما يستهوي الحس فحتى هذا البعض، بكشفه للإدراك الذهني عن الروح بارعة الصنعة التي صممتها، يعطي لذة عظيمة لجميع أولئك القادرين على تتبع روابط العلية والميالين إلى الفلسفة".

لا نجد شيئا كثيرا حول الجمال في العصور الوسطى في أوروبا. ولكننا نجد أن توما الأكويني Thomas Aquinas هو من المفكرين القلائل الذي تناول موضوع الجمال وعدد عناصره. فهو يقول إن عناصر الجمال ثلاثة: أولها التمام أو الكمال. لأن الأشياء التي يشوبها النقص تكون بشعة. والعنصر الثاني هو التناسب الواجب أو التناسق. والثالث عنصر الإشراق .لأن الأشياء الجميلة تكون مشرقة الألوان.

أما في العالم الإسلامي فان موضوع الجمال كان يرد عادة عند شرح الأسماء الحسنى لله تعالى ولا سيما اسم "الجميل"، وعند الحديث عن "الجمال الإلهي" وتجلي الله تعالى لعباده في الجنة حيث تصغر كل بهجة وكل لذة في الجنة أمام لذة تأمل الجمال الإلهي. ولكنهم تناولوا مباحث تعد في الفلسفة قريبة من بحث الجمال وهي مباحث الاخلاق ومباحث الخير والشر وجمال الخير وقبح الشر. حتى جاء الاستاذ بديع الزمان النورسي في العصر الحديث فتكلم عن الجمال بإسهاب نوعا ما.

بعد عصر النهضة تناول العديد من الفلاسفة موضوع الجمال. من أهمهم "لوك" و"هيوم" و"كانط" أما في العصر الحديث فأشهر من تناوله هو الفيلسوف الايطالي "بندتو كروتشه".(1952–1866)

يقول كانط:"إن أي حكم جمالي إلى جانب إضفائه القصدية على ما نحكم عليه بأنه جميل فانه يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو إن الشيء الجميل يرتبط ارتباطا ضروريا بشعور باعث على اللذة، وإنه بوصفه شيئا جميلا ليس موضوعا للمنفعة، وإنه يثير اللذة في نفوس الناس جميعا وإن هذه الموضوعية المطلوبة للاحكام الجمالية تختلف تمام الاختلاف عن الموضوعية التي تتصف بها الأحكام التركيبية القبلية، اذ ليس في ملكاتنا الادراكية غير أساس ذاتي بحت ومن هذه الناحية تتساوى الأحكام الجمالية مع التفسير الغائي ."

أما الفيلسوف الايطالي "بندتو كروتشه"(1952 –1866) فيعد أشهر من بحث في علم الجمال في عصرنا الحالي، فقد تناوله في المجلد الاول من كتابه "فلسفة الروح" وفي كتابه "موجز علم الجمال" الذي طبعه عام 1902, وكذلك في المقالة التي كتبها في دائرة المعارف البريطانية تحت عنوان "علم الجمال".

وكروتشه يفضل الفن الذي يعبر عن الجمال على الميتافيزيقيا وعلى العلم. لأن العلوم تقدم لنا الفوائد، ولكن الفنون تقدم لنا الجمال، وهو يتجه بنا مباشرة إلى الحقيقة وإلى الكلي المجرد. وهو يرى أن أصل الفن هو القدرة على تكوين الصور الذهنية. ولكون الخيال يسبق الفكر وهو شرط ضروري له كانت الفاعلية الفنية –أي القدرة على تكوين الصور الذهنية –أسبق من الفاعلية المنطقية لدى الانسان. وهو يذكر قول "ميخائيل أنجيلو": إن الإنسان لا يصور بيديه بل برأسه (يقصد بخياله).

وعندما يعرّف "كروتشه"الجمال يعرّفه هكذا:"انه التكوين العقلي لصورة ذهنية أو لسلسلة من الصور يتمثل فيها جوهر المُدرَك." فالجمال يتعلق بالصورة الباطنية أكثر من الصورة الخارجية التي هي تجسيد للصورة الباطنية. وهو يقول بأن هناك من يتصور أن الفرق بينه وبين شكسبير هو فرق في التعبير فقط، وأن لديه الأفكار والصور نفسها التي كانت لدى شكسبير، ولكنه لا يجد العبارة الفنية البليغة للافصاح عنها. ولكن هذا وهم باطل، فليس الفرق في قوة إخراج الصورة، بل في القدرة على تكوين الصورة الباطنية المعبرة عن الشيء الخارجي.

والشيء نفسه وارد بالنسبة للإحساس بالجمال، فهو أيضا تعبير باطني. اذ يقول: "إننا حين نستمتع بالعمل الفني الجميل إنما نعبر عن بصائرنا نحن". اذن فسر الجمال يكمن في الصورة الذهنية المعبرة، سواء في الفنان المصور، أو المتفرج لتلك الصور. فاذا سئلنا ما الجمال؟ أجبنا إنه تعبير.

وليس الأمر مقصورا على خلق صور الجمال، بل إنه ليتعدى ذلك إلى الاحساس بالجمال، فهو كذلك تعبير باطني. فدرجة فهمنا أو تقديرنا للآية الفنية إنما تعتمد على قدرتنا أن نرى الحقيقة المصورة ببصائرنا. فهو يقول: "إننا حين نستمتع بالعمل الفني الجميل إنما نعبر عن بصائرنا نحن...فحين أقرأ شكسبير فبصيرتي أنا هي التي تكون الصورة الذهنية لهملت أو عطيل" .

الفن إذن هو عرض الشعور مجسما في صورة ذهنية. وليس الفن هو العمل النفعي العملي، وليس نشاطا خلقيا عمليا، إذ لايجوز أن نحكم على الفن من وجهة نظر خلقية، وإن كانت على الفنان؟ من ناحية كونه إنسانا– مسؤوليات خلقية.

تلك هي نظرية كروتشه في علم الجمال "ولكن علينا أن نتذكر أن علم الجمال في نظر كروتشه هو المجال الذي يدرس تجلي الروح في جميع مظاهره، ذلك التجلي الذي تعبر فيه الروح عن نفسها في أمثلة جزئية مجسمة. إذن فعلم الجمال يشمل بالدراسة كل أنواع التعبير فيما عدا التفكير المنطقي".

كما أفرد "ا.س.رابوبرت" (وهو دكتور في الفلسفة– فصلا كاملا عن علم الجمالAesthetics في كتابه "مبادئ الفلسفة".نوجز رأيه هنا بإختصار، فهو يقول: "إن في حواسنا، ولا سيما حاستي السمع والبصر، أليافا بها نشعر باللذة إذا سمعنا بعض الأوصاف أو راينا بعض المناظر. وصور الجمال – السمعية منها والبصرية – تحدث في نفوسنا هزة طرب. أما القبيح فنشعر تجاهه بنفور وألم. يقول نيتشه:"كل ما كان قبيحا يضعف الإنسان ويقبض صدره، إذ يذكره بالانحطاط والخطر والوهن".

علم الجمال يبحث في كل هذه الاحساسات، فهو علم الشعور والعواطف والانفعالات.

علم الجمال يحد الجميل والقبيح والجليل والهزلي والفكه ويبحث في السبب الذي من أجله يظهر الشيء جميلا أو قبيحا. يبحث في الجمال المطبوع كما يبحث في الجمال المصنوع، أعني أنه يبحث في الفنون وفي جمال الذات وجمال المعنى، فهو بذلك حلقة الاتصال بين الفلسفة والفن، وهو– فلسفيا ؟جزء من علم النفس.

الشعور بالجما ل

عم ينبعث الشعور بالجمال؟ أهناك جمال قائم بنفسه؟ أم أن الشعور بالجمال يعتمد على ما نجده من أنفسنا في الشيء وعلى ما يظهر به الشيء أمام أعيننا، ومن ثم كان الصوت أو المنظر يسر إنسانا ولا يسر آخر بل ربما يسوءه؟ ما خواص الحركات والأشياء التي يكون بها الصوت جميلا منسقا يلذ السامعين؟ هل هناك عنصر مشترك في كل ما هو جميل؟ هذه المباحث وأمثالها هي التي يشتغل علم الجمال بدرسها.

والقوة التي بها نميز الجمال ونقومه هي التي نسميها بالذوق، وهي ملكة في الإنسان بها يشعر بلذة الجمال، منحها الناس على تفاوت فيما بينهم يرقيها التهذيب والمدنية في الفرد والمجتمع إلى درجات متفاوتة.

والموضوع الآخر هو: هل الفن يجب أن يخضع للغرض الذي يرمي إليه علم الأخلاق أو أنه فوق ذلك؟ ذهب قوم ومنهم "رسكن" إلى أن الفن يجب أن يكون أخلاقيا، وأن أهم ما يجب على الفنان أن يشرك الناس معه في عواطفه الشريفة، وليس هناك شيء وراء الأخلاق يصح أن يقصد من الفن. وذهب آخرون إلى أن الفن إنما يبحث عن الجميل لا عن شيء وراءه، إنما يهم الفن جمال الشكل، أما الموضوع فليكن ما يكون، ليكن رذيلة أو جريمة. وذهب بعض علماء الجمال إلى أبعد من هذا فقرروا أن "علم الجمال أعلى شأنا من علم الأخلاقب وأن النظر في الجمال والبحث فيه أرقى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان، وأن ذوق الألوان أهم في رقي الإنسان من الحاسة التي تدرك الخير والشر."

والجميل يختلف عن النافع، فليس كل نافع جميلا. فالأنف الكبير نافع لأنه ينفع في إدخال كمية أكبر من الهواء من الأنف الدقيق الجميل، ولكنه لا يعد جميلا. ولكن كل جميل نافع، في الأقل من الناحية النفسية وما يثيره من غبطة ولذة عند المشاهد له .

ولكن أهم خلاف –حسب رأينا – حول الجمال يدور حول السؤال الآتي :

هل الجمال صفة من صفات الطبيعة؟ أم هو موقف المراقب من الطبيعة؟ أي هل هو صفة نضفيها نحن على الأشياء وليس خاصية ذاتية في الطبيعة ؟ أم هو صفة أصيلة في الطبيعة؟... هناك نظرتان أو جوابان على هذا السؤال:

كان أفلاطون يرى أن الجمال صفة وخاصية أصيلة في الطبيعة. وكان نيوتن يرى هذا الرأي أيضا ويرى أن أهم عنصر للجمال هو البساطة وعدم وجود زيادات وحشو لا داعي له فهو يقول: "الطبيعة تسرها البساطة، وهي غير مولعة بأبهة الأسباب الزائدة على الحاجة".

ولكن الرأى القائل بان الجمال حكم للمراقب وليس صفة ذاتية في الطبيعة سادت في اوساط الفلاسفة والمفكرين طوال عصور عديدة بعد أفلاطون. فالفيلسوف الفرنسي اديكارتا يقول في رسالة له : "لا يدل الجميل ولا البهيج على أكثر من موقفنا في الحكم على الشيء المتكلم عنه"

ويشاركه الفيلسوف الهولندي "سبينوز" افيقول في رسالة كتبها سنة 1674إلى أحد أصدقائه: "الجمال ليس صفة في الشيء المدروس بقدر ما هو الاثر الذي ينشأ في الإنسان نفسه الذي يدرس ذلك الشيء".

ويكرر "تشارلز داروين" الشيء نفسه حول الجمال فيقول : "من الجلي أن الاحساس بالجمال يتوقف على طبيعة العقل بصرف النظر عن أي صفة حقيقية في الشيء محل الإعجاب".

ومع أن الجمال غير مقصور على عالم الاحياء، لأن عالم الجماد حافل بصور عديدة للجمال، إلا أن فرويد يحصر الجمال في إطار واحد فقط هو إطار الجنس فهو يقول :"من دواعي الأسف أن التحليل النفسي ليس عنده ما يقوله عن الجمال، وكل ما يبدو مؤكدا انه مستمد من مجال الشعور الجنسي." أي ليس هناك شيء اسمه الجمال، بل إن الطبيعة اخترعت هذا الشعور من أجل التكاثر الجنسي.

ولكن هذا الكلام قاصر وغير مقنع بل هو شديد السطحية. فما علاقة جمال غروب الشمس وهي تعكس أشعتها على السحب بالجنس؟ وما علاقة جمال البحر والنجوم بالتكاثر الجنسي؟ ومن قال بأن الرجل لا يرى الجمال إلا في المرأة، والمرأة لا ترى الجمال إلا في الرجل؟ ولماذا لا يستطيع رؤية الأنواع العديدة من الجمال المبثوثة في الطبيعة؟ .

للموضوع مراجع

"تآكل العافية النفسية" .. خطر يهدد شعبنا بأكمله

من أجل عمل وطني لتفكيك الألغام المزروعة في الصدور..

قد تلوح في الجملة السابقة، التي حملت عنوان هذا المقال، بعض ملامح المبالغة والتضخيم، من حيث الإشارة إلى الشعب بكامله، وهو أمر قد يبدو غير ممكن عند البعض فالمشكلات والأمراض والعقد والمنغصات مهما عمت واتسع مداها في أي بيئة أومجتمع، لا يمكن أن تصيب شعبا بكامله، ولكنني أرى خلاف ذلك في هذه المسألة بالذات، أي مسألة تآكل وتناقص الصحة والعافية النفسية لدى أفراد شعبنا في المجتمع الجزائري، لسبب جوهري هي أنها مسألة متعدية .

بقلم:حسن خليفة

■ إنني أراها عامة ممتدة متغلغلة في تفاصيل النسيج الاجتماعي كله، على امتداد رقعة الوطن الكبيرة. ومن ثم فإنني أقرر أنها مسألة إستراتيجية وحيوية وذات أولوية خاصة، وأن الاهتمام بها هو اهتمام بأمان المجتمع وأمنه القومي البعيد المدى، يشترك كل صاحب مسؤولية في تحمل نتائجها .

إن المسألة في تقديري جد لا هزل ولا لعب معه، فهناك اليوم في نسيجنا الاجتماعي من الظواهر والوقائع والأحداث التي تجري بشكل يومي، ما يسمح بالتفكير بصوت عال في خطر يهدد المجتمع والشعب والدولة على حد سواء وهو خطر "تآكل العافية النفسية"، وافتقاد التوازن النفسي والعاطفي لدى قطاعات وشرائح عريضة من أبناء شعبنا: رجالا ونساء ، شبابا وكهولا، وشيوخا،وأيضا فتيانا وصغارا.

ولستُ أريد التفلسف في المسألة، فأنا أعني ببساطة وبصراحة جارحة فيما يتعلق بـ"تآكل العافية النفسية".. نقص الصحة النفسية، نقص الأمان النفسي، وتكدر الوجدان، وسيطرة الحيرة والخوف، وكثرة التساؤل عن المستقبل والخوف منه، تضاعف الأمراض النفسية والروحية الحقيقية والوهمية لدى الناس؛ مما نتج عنه كثرة الهروب إلى الدجالين والمشعوذين، والأطباء المزيفين وغير المزيفين والرقاة الأطهار، والرقاة الأشرار الفجار..

كما أعني ببساطة أيضا انعدام التوازن في حياة الأفراد ووفرة القلق لديهم، بما جعلهم غير مسيطرين على أنفسهم وعلى حياتهم، وبما جعلهم ويجعلهم في أوضاع غير طبيعية وغير ملائمة وغير صحية، وهذا يؤثر على أدائهم في العمل إن كانوا يعملون، ويؤثر على أدائهم في أسرهم وعائلاتهم ومحيطهم جميعا، وأحسب أنه ليس من الصعب تصور حالة إنسان يفتقد بشكل حاد إلى توازن نفسي، ماذا يمكن أن يفعل، وكيف يمكن أن يتصرف، وكيف يترنح ويكثر الخطأ والخطل عنده، وكل ذلك مؤذ لنفسه وعائلته ومحيطه الإنساني .

كما يجب التأكيد هنا أيضا أن نقص العافية النفسية لا يقل عن أي نقص في مجال الصحة العامة، إن لم يكن أخطر ، فالصحة النفسية أساس من أسس بناء الشخصية السليمة القويمة، للفرد والأسرة ومن ثم المجتمع. وإلا فقل لي بربك :ماذا يصنع مجتمع أو دولة ما بشعب أكثره معلول ومعطوب بعلل نفسية وعاطفية ووجدانية وسلوكية ؟ ما ذا يفعل به، وما هي قيمة الحكم حينئذ وما متعته؟

أمثلة .. وتساؤلات:

ليس من الصعب أي يقف كل منا على عدد من المشكلات التي تطل برؤوسها السوداء، ويستنبط ذلك من الأحاديث التي تدور بين الناس، ومن أصناف التصرفات والسلوكات التي يمارسونها يوميا، والتي يمكن ملاحظتها في أرض الواقع بسهولة، أو قراءتها في الصحف والجرائد العامة، والمتخصصة (صحف الحوادث والجرائم والصحف الاجتماعية الفنية، وفيها أمثلة حية لمن يريد أن يعرف أكثر ويدرس أكثر ويفهم بشكل واقعي ...)

إن الملامح العامة لصورة الإنسان عندنا وما يقوله ويفعل هو : الإكثار من الشكوى، المبالغة في التذمر، إظهار عدم الرضى، الإكثار من المقارنات، الخوف، القلق، التبرم، الملل، الحيرة،الإحساس بالعبء من المسؤوليات، الإحساس بالقهر والظلم، العدوانية، الحقد، النفور، التصادم، الكراهية، السباب واللعن، التفكير في الهروب (ولا أقول الهجرة) البحث عن مخرج، التوق والشوق إلى التغيير العام والخاص، كراهية النظام والمسؤولين بمختلف مراتبهم ووصمهم بأشنع الصفات واقبحها، الإحساس بصعوبة الحياة وضغط الأعباء، التوتر، النرفزة، عدم القدرة على التفكير السليم والهادئ وكل هذه تعبيرات لها دلالاتها ومعانيها في النفس، ولها أيضا أسبابها التي نشأت منها وعنها. والذي يجب التأكيد عليه أنها تفعل في الإنسان ـ في الداخل ـ فعلها المدمر، تأكل سلامته النفسية، ولو ببطء. وأحيانا بسرعة. ولو أردنا معرفة بعض الأسباب من ذلك الضيق لوجب أن نقرأ الواقع بموضوعية، وعندما ننصرف إلى الواقع ماذا نجد فيه ؟ نجد بعض مايلي : بعض من الواقع

1– في البلد عشرات الآلاف من الجامعيين المتخرجين، وفيهم الكثير من اللامعين والمتفوقين وهم بلا عمل منذ سنوات، يعني بلا استقرار وظيفي مهني ولا استقرار آخر وجداني عاطفي.تصور حالهم بنفسك؟ ومن ثم من أين يمكن لهم أن يحصلوا على عافيتهم النفسية؟

2– يُضاف إليهم،كل عام، عشرات الآلاف من المتخرجين بلا مستقبل في العمل والاستقرار

3– في البلد عشرات الآلاف من الأسر التي تبحث عن الاستقرار في السكن وهي دون مأوى، بعضها منذ عقدين وأكثر؛ دون الحديث عن مخلفات السنوات الدامية الأخيرة وتلك مسألة أخرى ؟

4– في البلد عشرات الألوف من المظلومين والمظلومات؛ كل حسب مظلمته من الصغيرة إلى الكبيرة (العشرات من الصحف تعج برسائل هؤلاء المظلومين موجهة إلى المسؤولين في مختلف المواقع ، وفيها عبر كثيرة ومعاناة ودلالات تفسر جزءا من مشكلة تآكل العافية النفسية موضوع هذه السطور.)

5– في البلد عشرات الألوف من الشباب في سن الزواج، وبعضهم بعد سن الزواج ؟؟، هناك من وصل إلى الأربعين ولا يعرف بعدُ الخيط الأبيض من الخيط الأسود في بناء عش وكيان عائلي ؟

6– في البلد ، حسب الإحصائيات الرسمية ، نحو 11 مليون عانس، من بناتنا وأخواتنا؛ وحيث إن الزمن لا يتوقف فإن الرقم مرشح للزيادة كل عام؛ في هذا الأمر كما في غيره .

7– في البلد ..عشرات الألوف أيضا يُطردون من المؤسسات التعليمية المختلفة ويتخلفون عن الباكالوريا، وتلك لهم قضيتهم الخاصة، اخترع لها المسيرون اسما جميلا لطيفا هو"التسرب المدرسي" .(لعله قياس مقرب من تسرب الغاز، وتسرب المياه وقنوات الصرف الصحي وهومتوفر بكميات كبيرة ؟؟، وبرهان على العجز في صناعة بيئة نظيفة وصحية ولهذا أيضا دوره في تآكل صحة الناس النفسية ؟)

8– في البلد الآلاف المؤلفة من العمال الذين سُرحوا أو طُردوا – لافرق–بعد غلق مصانعهم ومعاملهم وورشهم (بعضها بيع بأسعار معقولة بعد حين ؟) وصاروا نهبا للفراغ، يلهثون لتدبير معاشهم ومعاش أبنائهم في حياة قاسية غالية لا رحمة فيها.(كيف لهذا أن يحصل على عافيته النفسية،وهوحائر في قوت يومه ...)

9– ...ودون أن نضيف شيئا آخر وهو كثير، يجب أن نعرف أن لكل فرد من الأفراد السابقين جميعهم علاقة بإفراد آخرين من عائلاتهم، يقلقون لقلقهم، يهتمون لأمرهم، يتأزمون لأزمتهم؛ دون أن يعني أن الأفراد الآخرين بدورهم، ليس لديهم هم أيضا مشكلاتهم. وهذا يعني أن المسألة مركبة ومتشابكة ومتداخلة العناصر، وأن العدد صار بالملايين وليس بعشرات الآلاف. أعني عدد المأزومين والقلقين والحيارى والبائسين نفسيا وعاطفيا الخ .. ومادام بالملايين فهويمس الشعب أكثره أوكله.

وحتى نزيد الأمر إيضاحا دعونا نتساءل ونسأل هذه الأسئلة البسيطة والبريئة ، عن الحياة ونمط الحياة، عن الهناء، والعيش الكريم الطيب والأمل في المستقبل، والقدرة على البذل والعطاء، ونسأل عن الحب والدفء والأمان والسعادة والازدهار والأناقة النفسية والقوة والجمال... والانسجام الذاتي والاجتماعي، وكل المفردات التي تصنع السلامة والعافية النفسية وتتيح وجود ذلك الإنسان الحلم صاحب العافية النفسية المتكاملة؛ صاحب القدرة على التفاهم الجيد مع واقعه الخارجي، الإنسان الإيجابي، المتفائل، الطموح، الذي لا يعرف الشكوى ولا التذمر، ذلك الإنسان الجميل داخليا النظيف خارجيا، المبتسم دائما، صاحب الطاقة العقلية الخلاقة، والطاقة البدنية الجبارة، الإنسان الذي تبدو عليه مظاهر الصحة البدنية في شكل وجه متورد وجسم متناسق سليم، قوي البنية، كما تبدو عليه الصحة النفسية في البشاشة والحبور الفرح والسرور... وكل ذلك يزيد من فاعليته الذاتية والاجتماعية، ويهيئ له سبيل التفاعل الحياتي النشط مع الحياة، ويكسبه سمات الشخصية الإيجابية الناجحة ...

دعونا نتساءل ببراءة :

كم هي نسبة أفراد الشعب من الذين واللائي يملكون ويملكن حياة هنيئة مستقرة طيبة آمنة؟

كم هي نسبة الشباب الذين يملكون فرص الاستقرار المهني والعاطفي ؟

كم هي نسبة النساء والفتيات اللائي يملكن أولديهن إمكانية صياغة حياة هنيئة طيبة جميلة؟

كم هي نسبة الشباب الجامعي وغير الجامعي في المؤسسات التعليمية، من الذين تبدو له بوضوح ويسر فرص امتلاك وصياغة حياة مزدهرة آمنة مليئة بالخير والوفرة والنعيم، وذلك بالمناسبة حقهم الطبيعي ؟ . ولو سرنا على هذا المنوال في التساؤل عن كل أفراد المجتمع وشرائحه لاحتجنا إلى مساحات واسعة من صحف، ومجلدات من الكتب.

ولا أتردد في القول : لوتساءلنا ومضينا في التساؤل لوجدنا في الإجابات ما يخيب الآمال. وليس ذلك سوى الواقع الحقيقي المعيش الذي يلمسه كل واحد منا في حياته اليومية، يسمعه ويراه، ويقرأ عنه في الصحف كل يوم...كل يوم.

إنها مسألة أمن قومي ووطني ...أن نجعل من أولوياتنا تفكيك هذه الألغام المزروعة في صدور الناس التي تغرس اليأس والكفر والجحود ونكران الوطن والنفس، وتدفع نحو العنف والغش والاحتيال والصدام والعدوان،وما أكثر الأمثلة على ذلك مما حدث في عدد من المدن والحواضر والقرى والملاعب.. في الشهور القريبة الماضية فقط . وأعتقد أننا جميعا مطالبون بعمل وتوافق وطني لحل هذه المشكلة ببلورة مشاريع واقعية وحقيقية وخطط وبرامج في كل المستويات وصولا إلى تحقيق الأمان والعافية النفسية لإنساننا ومجتمعنا وشعبنا ..قبل فوات الأوان.

– الإطلاع البسيط على كتب ودراسات الصحة النفسية ستعمق المفاهيم وتصحح المعوج منها .

بالنسبة لأهمية الصحة والسلامة والعافية النفسية للفرد والأسرة والمجتمع كله .

الذكرى 38 لتأميم المحروقات في ظل تحولات نقيضة

تحيي الجزائر هذه الأيام ذكرى تأميم المحروقات، الذي يصادف الـ24 من شهر فيفري، حيث اتخذ قرار التأميم في يوم 24 فيفري 1971, كما يصادف الذكرى الـ53 لاستخراج أول برميل بترول من جوف منطقة الجلاح عام 1956, ويعتبر قرار تأميم المحروقات من القرارات الشجاعة والحاسمة التي أعلن عنها الرئيس الراحل هواري بومدين في خطابه التاريخي الذي ألقاه على الساعة الرابعة من مساء يوم 24 فيفري1971 أمام إطارات الإتحاد العام للعمال الجزائريين بعد الفشل الذي وقع للمفاوضات الجزائرية الفرنسية بشأن نصوص تضمنتها اتفاقيات إيفيان الموقعة في 7 مارس 1962.

أخطر جاسوس جزائري، يخترق "قصر" الإيليزيه؟

سمير محمود قديح

لا سيما ما تعلق منها بحماية مصالح فرنسا في استغلال الثروة البترولية في الصحراء ضمن ما عبرت عنه هذه الاتفاقية بعبارة مطاطة ومبهمة هي "التعاون العضوي", لقد بدأت تلك المفاوضات عام 1969 على أمل الإنتهاء منها في جويلية عام 1970 والخروج بنتائج ترضي الطرفين، وكان رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة الذي شغل منصب وزير الخارجية أنذاك قد قام بعدة جولات ماراطونية ذهابا وإيابا بين العاصمتين الجزائر وباريس للقاء وزير الصناعة (إكزافيه أورتولي) Xavier Ortoli المكلف بملف المحادثات التي كانت عالية المستوى والتمثيل الدبلوماسي، لكن بعد سنة منها لم تنته إلى نتيجة، بسبب تعنت الطرف الفرنسي بقي مصرا على مواقفه لصالح شركاته البتروليية على حساب حق من حقوقنا الذي يعد من صميم سيادتنا الوطنية.

والطريف في الأمر أنه في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون شبه متيقنين على أن المفاوضات ستكون لصالحهم، على اعتبار أن الجزائريين في نظرهم ليسوا مؤهلين وغير قادرين على تأميم بترولهم لجملة من الأسباب في مقدمتها ضعف الإمكانات وانعدام الكوادر التي بإمكانها الاضطلاع بتداعيات مثل هذه القرارات الاستثنائية التي قد ترهن البلاد لمصير مجهول، كان الطرف الجزائري يفاوض برأس مرفوع وثقة مطلقة في النفس، فهو ببساطة يملك بحوزته أوراقا سحرية يقرأها فتكشف له جميع الأسرار التي يخفيها المفاوض العدو، ويعمل على الضغط بها عند كل لقاء ومحادثة، الشيء الذي دفع بالطرف الفرنسي في بداية شهر فيفري من عام 1971 إلى إعلان وقف المفاوضات بمبادرة منه أمام دهشته وانبهاره للقدرات الخارقة التي أبداها المفاوض الجزائري الذي أعرب على لسان الرئيس هواري بومدين عن موقفه الصريح المتمثل في قرار تأميم المحروقات مساء يوم 24 فيفري 1971, وكان بحق قرارا صائبا وعظيما أعاد الحق إلى أصحابه الأصليين مما جعل صحيفة لوموند تكتب إثر ذلك اإن الجزائر أصبحت حاملة لواء الدول البترولية التي تريد التحرر من وصاية الشركات الأجنبية منطلقة في سباق لاسترجاع ثرواتها، حيث تمضي في الطليعة الآن للوصول "إلى هذا الهدف"،وبالفعل فقد حذت حذو الجزائر في قرار تأميم المحروقات كل من العراق عام 1972 وليبيا عام 1973.

رشيد ثابتي ..اللغزالذي حيّر العالم

من دون شك فإن القارئ يتساءل عن سر تلك االأوراق السحريةب التي كانت بحوزة المفاوض الجزائري، وكانت بالفعل قوة دفع له في فرض وجهة نظره وموقفه حول قضية هي كما سبق وقلنا تعد من صميم السيادة الوطنية

إن الجواب على هذا السؤال اللغز موجود في يد شخصية جزائرية..، إنه الأستاذ رشيد ثابتي المحامي لدى المحكمة العليا، الملاكم الذي كان أحد أبطال الملاكمة أثناء دراسته بفرنسا، حيث تحصل على لقب بطلها الجامعي عن جدارة في الوزن المتوسط وكان مدربه جون بريتونال شديد الإعجاب بشجاعته وفنياته العالية.. هذا الرجل هو المايسترو الحقيقي وراء قرار إعلان تأميم المحروقات، ولولاه لحرمت الجزائر الآن من الطفرة البترولية التي تنعم بها بعد ما بلغ سعر البرميل أرقاما قياسية وانتفاخ الخزينة، كل ذلك بفضل النجاح الساحق الذي حققه هذا الرجل في عملية جوسسة نادرة المثال، تتفوق في تفاصيلها وحبكتها أغرب الروايات خيالية. كما أن بطلها الذي خاطر بحياته طوال فترة تلك العملية التي استغرقت حوالي ثلاث سنوات متواصلة.

كانت البداية بسفر عائلي إلى فرنسا بعد أن اعتقل المستعمر أحد أفرادها المدعو عبد الرحمان بلموفق، الذي كان عضوا بالجيش الفرنسي برتبة قبطان، وقد وشى به أحد الخونة عندما أخفى سرا بمنزله رقم 70 شارع العربي بن مهيدي بقسنطينة حاليا الشهيدين حمداوي ومريمش، حيث زج به في المعتقل الذي فتحه المستعمر بمنطقة حامة بوزيان بولاية قسنطينة ومكث به مدة طويلة قبل أن ينفيه إلى فرنسا وبقية أفراد عائلته، ومنهم أخ زوجته رشيد ثابتي الذي واصل دراسته هناك في الوقت الذي فضّل بقية أفراد الأسرة التوجه الى تونس للاستقرار هناك قبل العودة النهائية إلى الجزائر عند إعلان الاستقلال واسترجاع السيادة ومن ثمة الى منزلهم بشارع العربي بن مهيدي الذي حوله المستعمر إلى مركز للشرطة والتعذيب.

ولد الطفل المعجزة "رشيد" بتاريخ 27 ماي 1930, وسافر مع عائلته الكبرى إلى فرنسا التي استقر ودرس بها، فحصل على شهادة البالكوريا، ثم شهادة الليسانس بجامعة باريس في شعبة الحقوق، وكان بالموازاة مع ذلك يمارس رياضة الملاكمة التي أحرز بها لقب بطولة فرنسا للجامعيين، وكان أيضا يناضل سياسيا لصالح حزب جبهة التحرير الوطني، وبعد الاستقلال عمل سكرتيرا للسفارة الجزائرية بباريس مع السفير موساوي.. بالإضافة إلى امتلاكه مجموعة من المواهب والمميزات قلما تجتمع في شخص واحد، فحين كان في سن 24 عاما كان يمارس التمثيل والمخاطرة Cascadeur, ويجيد الكلام بخمس لغات هي: العربية، الفرنسية، الإنجليزية، الإسبانية، الألمانية، وكان شديد الأناقة ويملك فتوة طاغية مما جعله محل اهتمام بين مؤسسات الإشهار المتلفز

كل هذه المميزات التي تشكل شخصية رشيد ثابتي، سهلت عليه اللجوء إلى أرقى الصالونات الباريسية، التي تتردد عليها شخصيات فرنسية وعالمية شهيرة، منهم الرياضيين والسياسيين مثل الوزراء وأعضاء الحكومة، والفنانين الكبار والعلماء ذوي الصيت الواسع.

ونتيجة لهذا الجو المتفرد الذي يعيش وسطه مثل السمكة في الماء أحد المناضل الوفي لجبهة التحرير الوطني رأت السلطات الجزائرية أن توظف رشيد ثابتي كعميل لها بهدف الحصول على معلومات بشأن المفاوضات التي ستخوضها مع الجانب الفرنسي، سيما وأن أضعف حلقة في هذه السلسلة هي المرأة التي تعد لدى رشيد فريسة سهلة، فهو الزير الساحر، مغوي النساء بامتياز (charmeur)، وقدراته على الإغواء بهدف التجسّس على الطرف المضاد ليست في حاجة إلى برهان! ومن هنا فقد كلفت السلطات الجزائرية رشيد بمهمة الإيقاع بسكرتيرة برونيه رئيس الوفد الفرنسي والمدير العام للشؤون الإقتصادية والمالية على مستوى وزارة الخارجية الفرنسية أنذاك، وتمكن بطلنا في ظرف قياسي من كسب ود السكرتيرة الشقراء، ذات الجمال الساحر، حيث تحصل أثناء علاقته معها من الحصول على كل الملفات التي تحتاجها السلطات الجزائرية أثناء مفاوضاتها مع الطرف الفرنسي، الذي كان في كل مرة يتعجّب من سرعة بديهة وذكاء المفاوض الجزائري المزود طبعا بكل محتويات التقارير التي يتوصل إليها الفرنسيون بعد اجتماعاتهم وتسلمها السكرتيرة العاشقة إلى رشيد على طبق من ذهب! والذي بدوره يسلمها إلى ملاكم زميل له هو الطيب بومعزة الشهير بطوني، وهذا الأخير يسلمها إلى السلطات الجزائرية التي تطلع عليها من لمعرفة نوايا الوفد المفاوض ومقاصده البعيدة.

وكان رشيد ثابتي، قبل أن ينسج علاقته بسكرتيرة برونيه، قد انتحل دور أمير جزيرة مرمرة التركية، له ثراء فاحش يتمثل في أملاك وأراض وعقارات وقصور منتشرة في جميع أنحاء العالم، ومنها الجزائر، حيث قادها في إحدى جولاته التمثيلية التي لعبها باحترافية عالية إلى مسقط رأسه بقسنطينة وتحديدا بالمنزل الذي ولد به وأمضى طفولته فيه والواقع بشارع العربي بن مهيدي، وكان هذا المنزل في الستينيات عبارة عن تحفة هندسية على شكل قصر من قصور الأحلام ولا يزال إلى غاية اليوم يعكس ملامح هذا الثراء والعيش الرغيد الذي كانت تتمتع به عائلته الكبرى في ذلك الوقت، وقد انبهرت العشيقة الحسناء بهذا السحر الشرقي الذي يحيل إلى عالم ألف ليلة وليلة، وزاد في تعلقها وإخلاصها لرشيد أمير مرمرة وعده لها بالزواج والعيش معا في أقرب فرصة ممكنة، وعند العودة إلى باريس ترسخ اعتقاد العشيقة الحسناء من أن رشيد هو بالفعل أمير ثري، بعد أن أدخلها إلى شقته الفاخرة جدا الموجودة بالدائرة السادسة عشرة وهو الحي الباريسي الراقي، وكانت السلطات الجزائرية قد وضعتها تحت تصرفه المطلق وهي مفروشة على آخر طراز..

قطاع المناجم مهدد بزوابع أزمة المال العالمية

كامل الشيرازي

قال خبير جزائري، إنّ القطاع المنجمي في بلاده بات مهددا بزوابع أزمة المال الكونية، واستدلّ الخبير بتراجع إيرادات المناجم بشكل محسوس إلى نحو ثلاث مرات خلال الأشهر الخمسة الأخيرة مقارنة بفترات سابقة، ما دفعه إلى توقع انتكاسة لمؤدى المناقصات الخاصة بمئات مشاريع التنقيب المنجمي في الفترة القليلة المقبلة.

وذكر الخبير عبد الكريم بوعكوك في مقابلة مع "إيلاف"، إنّه لا يمكن إنكار انعكاسات أزمة المال على مناجم الجزائر، بشكل ينذر بكساد ملموس بالتساوق مع ما تشهده سائر المعامل المنجمية عبر العالم، وانخفاض مستوى استهلاك الموارد المنجمية إلى حدود الثلث حتى لدى الدول الأكثر تطورا على غرار دولة الصين المصنفة في صدارة الممتلكين الكبار للمواد المنجمية الأولية.



وقدّر بوعكوك أنّ تبعات أزمة المال ستستمر في التأثير على القطاع المنجمي في الجزائر إلى غاية أواسط السنة الحالية على أقل تقدير، خصوصا إذا ما استمرّ عزوف المستثمرين الصينيين عن الخوض في سوق المناجم الجزائرية، وهو ما يفسّر اعتراف "عبد القادر بن يوب" مسؤول الوكالة الجزائرية للممتلكات المنجمية، قبل أيام، بأن تداعيات الأزمة المالية العالمية ستؤثر بشكل مباشر على مداخيل النشاط المنجمي في الجزائر.

وذكر عبد القادر بن يوب أنّ بلاده بصدد طرح حوالي 250 موقع منجمي للاستغلال والتنقيب خاصة بمختلف المعادن، من الذهب والحديد إلى حجر الماس الذي تذهب دراسات إلى احتواء ولاية بشار الجنوبية على مخزون هام منه، بعدما توصلت فرق تنقيب إلى استخراج 1500 وحدة قبل فترة، ويجري توسيع أعمال التنقيب بشراكة جزائرية–جنوب إفريقيا.

ووصلت نسبة المداخيل الإجمالية الناجمة عن منح رخص الاستغلال المنجمي بالجزائر إلى حدود 5,7 مليارات دينار السنة المنقضية، علما أنّ الحكومة طرحت مناقصات دولية لاستغلال 17 موقعا منجميا في أنحاء متفرقة من البلاد، ومن أهم المعادن التي تضمنها الإجراء عمليات التنقيب الرصاص والزنك والذهب والفلورين، بينما يجري التخطيط لاستكشاف واستغلال المعادن الذهبية بولاية تمنراست الجنوبية وكذا المنطقة المنجمية الخاصة بالرصاص والزنك التابعة لولاية سطيف.

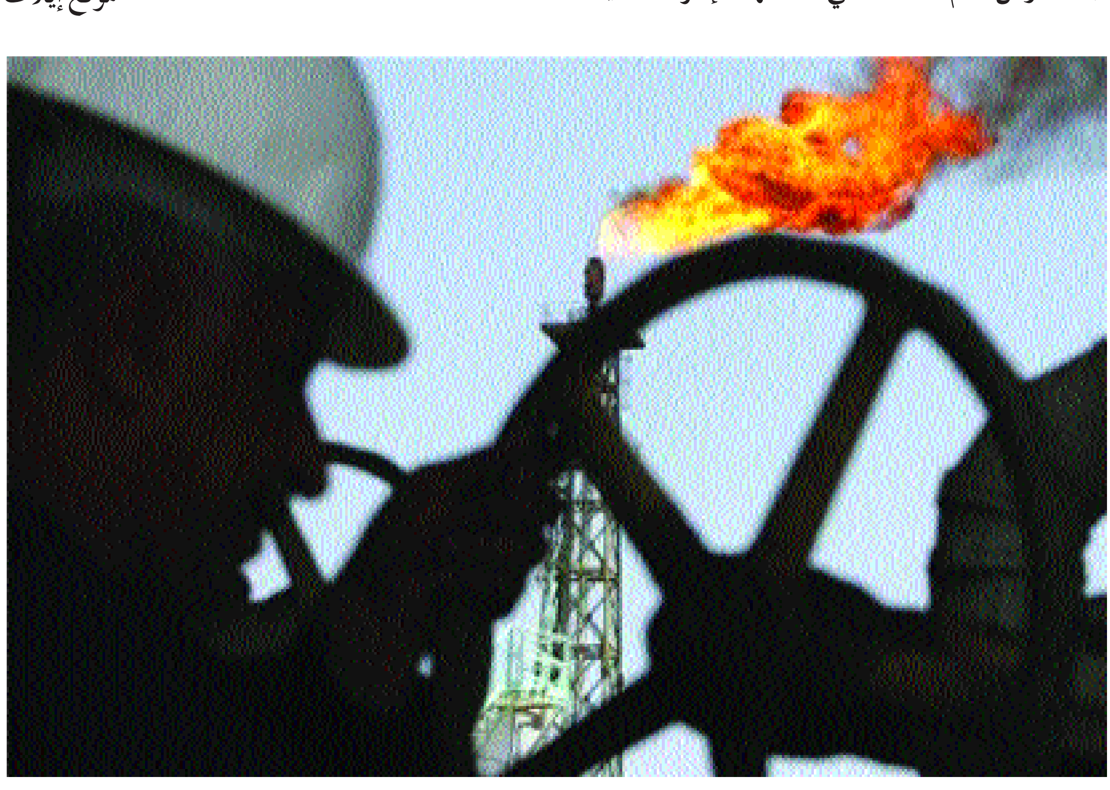
ووفق بيانات رسمية، عرف إنتاج المعادن في الجزائر تراجعا لافتا، حيث تدحرج إنتاج الحديد إلى 98,1 مليون طن، ولم يتعد مستوى إنتاج الذهب 236 كيلوغرام، بينما احتبس إنتاج الفضة عند سقف 90,45 كيلوغرام تماما مثل منحنيات الرصاص والنحاس، وتسببت المعطيات السالفة الذكر في انخفاض الواردات الجزائرية من المنتجات المنجمية إلى نحو 46,31 بالمئة، كيفا بكيف مع الصادرات التي شهدت نزولا بواقع 11,34 بالمئة.

وأقدمت الجزائر غداة صدور قانونها للمناجم العام 2000، على منح نحو 490 امتيازا للتنقيب عن المعادن بعد طرح مناقصات دولية، كما شرعت الحكومة هناك في مخطط واسع لاستغلال احتياطي يربو عن 30 ألف طن من مادة اليورانيوم

وصرّح وزير الطاقة الجزائري شكيب خليل، أنّ بلاده مهتمة بتطوير ثروتها الهائلة من اليورانيوم، في وقت يُجهل الوعاء الاحتياطي الإجمالي من هذه الثروة في الجزائر، وعلّق خليل بهذا الصدد، أنّ الجزائر لن تستخدم اليورانيوم المخصّب المثير للجدل سوى في أغراض سلمية، بعدما سبق للجزائر أن أقامت مفاعلين نووين في الماضي، وزارتهما وفود عن المنظمة الدولية للطاقة الذرية، تباعا على مدار الأعوام الـ17 المنصرمة.

وأوعز الوزير أنّ السلطات تعتزم الاعتماد على مادة اليورانيوم الحيوية في مضاعفة توليد وإنتاج الطاقة الكهربائية، داعيا المتعاملين الأجانب للاستثمار في هذا النوع المبتكر، من خلال مباشرة ومضات تشاركية مع المؤسسات الجزائرية، سيما بمنطقتي تمنراست وتندوف، حتى يتم ترقية حجم الإنتاج الحالي الذي لم يتعدّ بضع آلاف من الأطنان خلال السنوات الأخيرة.

موقع إيلاف



بين ذكرى التاميم وتاريخ التحرير

جلال بوعاتي

صادق مجلس الوزراء خلال اجتماعه الأسبوعي يوم الثلاثاء 22/ 2005/2 برئاسة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، على إحياء مشروع القانون، الذي تعرض للتجميد في العام 2001, وهو قانون المحروقات.

وجاء في بيان للحكومة يومها أن الوقت قد حان لإعطاء قطاع المحروقات في الجزائر دفعا جديدا يمكن الحكومة من الاستفادة من الفرص المتاحة في السوق النفطية، وخاصة في ظل مؤشرات تؤكد استمرار ارتفاع الطلب على النفط والغاز الطبيعي في العالم.

وينص مشروع القانون على منح حقول منجمية لمتعاملين وطنيين أو أجانب وإنشاء 3 وكالات مستقلة تكلف بالإعلام ومنح الحقول (استنادا على استدراج للعروض العامة) وتنظيم القطاع. كما سيلغي الإصلاح احتكار الدولة لإنتاج وتوزيع الكهرباء على أن يبقى عليه في مجال نقله.

ويهدف المشروع إلى توضيح دور الحكومة وشركة سوناطراك. وسيعود للحكومة دور منح الحقول المنجمية والترخيص باستغلال حقول جديدة، بينما تركز مهمة سوناطراك على المهن القاعدية ودورها كشركة نفطية مدعوة إلى التنافس في السوق العالمية.

وعلى الصعيد نفسه، تشير الحكومة إلى أرقام إيجابية تحقق بفضل الإصلاح الذي حدث في القطاع منذ 1999. وقال الرئيس بوتفليقة في إحدى المناسبات الوطنية إن ما تحقق لحد الآن هو دليل "على جدوى الإصلاحات التي كنا بصدد إدخالها في القطاع الذي يوفر 96 % من إيرادات موازنة الدولة السنوية.. داعيا العمال إلى تفهم قراراته والتحلي بالصبر من أجل قطف ثمار إصلاحاته".

وكان قرار تأميم المحروقات قد أدى الى سيطرة الدولة على الثروات النفطية بعد ان ظلت الشركات البترولية الدولية الكبرى مسيطرة عليها مقابل ثمن زهيد, ولكن مع تطور العلاقات الدولية والمكانة المرموقة التي تحتلها الطاقة أعادت الجزائر سنة 1986 تكييف تشريعها لفتح المجال للمساهمة والشراكة الأجنبية في قطاع المحروقات.

والمفارقة هي اختيار أن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة يقوم الآن بتنفيذ سياسة التحرير، استجابة للتحولات التي يشهدها العالم في السنوات الأخيرة، واختيار تاريخ ذكرى تأميم المحروقات، لتحريرها.

عن موقع الأسواق العربية

في الطريق إلى عالم مالك بن نبي الفكري 4/4

بقلم الأستاذ الطيب برغوث

نماذج من المفاهيم الفكرية الجادة في فكر مالك بن نبي:

ولا نريد أن نسترسل في سرد المزيد من مفردات منظومة مالك بن نبي الفكرية والمنهجية، فهي أوسع مما تتيحه هذه المقدمة، و لكن نضيف فقط بعض المفاهيم المفتاحية، ذات الدلالة العميقة في هذا السياق مثل:

- معاملا الاستعمار والقابلية للاستعمار.
- صراع الفكرة والوثن.
- السياسة والفكرة
- الطاقة الحيوية والأفكار.
- جدلية العالم الثقافي.
- جدلية الفكرة والشيء
- عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء.
- الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة.
- أصالة الأفكار وفعاليتها.
- البناء والتكديس.
- الأفكار الميتة، والأفكار القاتلة.
- الحرفية في الثقافة.
- الذوق الجمالي والمنطق العملي.
- الفنون الجميلة ومشكلة الزي.
- السياسة والبوليتيك.
- محور طنجة جاكرتا
- المعادلة الاجتماعية و حركة التغيير.
- انتقام الأفكار المخذولة.
- ذهان السهولة والاستحالة
- الرشاد و التيه في حركة التغيير.
- ازدواجية اللغة وانقسام المجتمع.
- الفعالية الاجتماعية ومصداقية النموذج الاجتماعي.
- صلاح الفكرة وصلاحيتها.
- الأفكار واطراد التغيير
- إنسان ما بعد الموحدين
- مجتمع ما بعد الموحدين

فالمتأمل لهذه المفاهيم على ضوء النظرة الشمولية المتكاملة لإنتاج الرجل، يلاحظ أمرين أساسيين في غاية الأهمية:

القيمة الذاتية المتميزة لكل مفهوم من هذه المفاهيم على حدة. سواء على مستوى البنية التعبيرية، أو المضمون الفكري. إذ لو أخذت كل فكرة من هذه الأفكار الكثيرة على حدة، لكانت ذات قيمة فكرية كبيرة، في ميزان فقه السنن الحضارية، والاستفادة منها في تأطير عملية التغيير، وتوجيه حركة البناء، ووقاية منجزاتها الاجتماعية. فكل مفهوم من هذه المفاهيم، يختزن مضمونا فكريا مكثفا وعميقا، ويتضمن بعدا منهجيا مركزا، بالإضافة إلى تميزه من حيث البنية التعبيرية، المتسمة بالدقة والجدة والأناقة والحيوية.

والأمر الثاني المهم أو الجديد الملفت للانتباه في إنتاج مالك بن نبي، بالإضافة إلى ما سبق، هو"المنهج" الذي أعطى لهذه المفاهيم الفكرية أبعادها الإستراتيجية الحيوية، من خلال عملية التركيب والتأليف بين هذه المفردات، والارتقاء بها إلى مستوى منظومة فكرية متكاملة، أصبحت تشكل إطارا مرجعيا ونموذجا منهجيا في فقه سنن الله في صيرورات الظواهر الحضارية.

دون أن ننسى أمرين أساسيين آخرين في خبرة مالك بن نبي وتجربته الغنية كذلك، وهما:

الشعور الحاد بالمسؤولية الرسالية، تجاه الأمة، و تجاه دينها ورسالتها في العالم والكون. لقد كان رحمه الله شديد الاعتزاز بالإسلام، وشديد الثقة في ظهوره على الدين كله، وشديد الاهتمام بأوضاع المسلمين في العالم، وشديد العناية بالبحث في شروط نهضة الأمة بالإسلام. ومن يدرس آثاره، ويستقصي تفاصيل حياته، يدرك مدى عمق إحساسه بالمشكلات الإنسانية، وانفتاحه عليها، من منظور (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الذي جاء به الإسلام للبشرية كافة .

وروح المكابدة الرسالية المستميتة، التي جعلته يصمد أمام التحديات والمغريات التي أحاطت به في كل مراحل حياته، وينتصر عليها، ويكفينا هنا أن نتذكر كلماته الأخيرة التي سجلها وهو يتأهب لمفارقة عالم الدنيا واستقبال عالم الآخرة، حيث كتب يقول: "إنني أشعر أكثر فأكثر، في هذه السنة التاسعة والستين من حياتي بشعور ارتياح. و إني كرجل على ظهره حمل ثقيل، يشكر المولى تعالى أن وفقه على نقل الحمل أبعد و أطول ما يمكن، و لكنه ينتظر وقت وضعه. إنّ حياتي كانت ثقيلة الحمل، وقرب السبعين من عمري فإني أستشف نهايتي بارتياح ".

مالك بن نبي نقطة التقاء رافدي حركة التجديد المعاصر: ومن هنا تأتي أهمية دراسة تراث مالك بن نبي بالنسبة للمسلم المعاصر، في أي موقع من مواقع المسؤولية الاجتماعية كان، و خاصة الأجيال الجديدة، سواء كانت من دعاة الإسلامية والتأصيل الحضاري، أو من أنصار الحداثة والتناسخ الحضاري.

فمالك بن نبي من خلال هذه المنظومة الفكرية الأصيلة، وهذا النموذج المنهجي المتميز، أرسى أسسا وقواعد متينة لإخراج حركة التجديد الحضاري للأمة من مأزق الازدواجية و التلاغي والإهتلاك، الذي نجم عن العلاقة التنافرية بين جناحي هذه الحركة التجديدية، وخاصة في مرحلة "الدولة الوطنية"، التي انفرد فيها دعاة الحداثة والعصرنة بأزمَّة الأمور، وأمعنوا في إبعاد وتهميش دعاة التأَصيل والعودة إلى الذات،

> **"إن من الواجب ألا توقفنا أخطاؤنا عن السير حثيثا نحو الحضارة الأصيلة .. فإن الحياة تدعونا أن نسير دائما إلى الأمام، وإنما لا يجوز لنا أن يظل سيرنا نحو الحضارة فوضويا، يستغله الرجل الوحيد، أو يضلله الشيء الوحيد، بل ليكن سيرنا علميا عقليا، حتى نرى أن الحضارة ليست أجزاء مبعثرة ملفقة، ولا مظاهر خلابة، وليست الشيء الوحيد، بل هي جوهر ينتظم جميع أشيائها، وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية".**

واضطر بعضهم إلى الدخول في الصف، وبعضهم الآخر إلى الدخول في المواجهات بكافة أشكالها المنهكة بل والمهلكة.

وكانت نتيجة عدم التقاء هذين التيارين الأساسيين في حركة التجديد الحضاري الحديث للأمة، وخيمة العواقب، كما يفصح عن ذلك واقع البلاد الإسلامية؛ في فوضاه الفكرية، وفي اضطرابه الاجتماعي، وتمزقه السياسي، وغثائيته وتبعيته الحضارية المحكمة.

ومن أجل تجاوز هذه الوضعية، والتخلص من الإزدواجية المهلكة، وتحقيق التكامل المطلوب بين الأجيال والقوى الفاعلة في الواقع الإسلامي المعاصر، ليس هناك بديل عن إفساح المجال أمام الاتجاه الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر، الذي يعد مالك بن نبي رائده بجدارة، ليجسر العلاقة بين القوى المتنافرة، ويمتص أسباب التنافر والجفوة بينها، و يكامل بين جهودها.

ومن يتأمل فكر مالك بن نبي وحياته، يرى كيف يتجاوز هذا الاتجاه الحضاري إشكالية الإزدواجية التنافرية الخطيرة، في الفكر والممارسة، ويحقق التكامل المنشود في جهود البناء، من خلال تأسيس الوعي الحضاري، المبني على الثقافة السننية، التي تجعل الإنسان ينظر إلى الظواهر الحضارية لا على أنها سلسلة من الأحداث يعطينا التاريخ قصتها، بل كظواهر يرشدنا التحليل إلى جوهرها، أي إلى "قوانينها" وسنن الله فيها، ولا شك أن من يمتلك ناصية القوانين الاجتماعية، فإنه يمتلك أسرار النهضة الحضارية ويتحكم في شروطها الحاسمة.

والاتجاه الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر الذي يعود الفضل إلى مالك بن نبي في بلورته وتطويره بعد ابن خلدون، متمحور حول تأسيس هذا الوعي الحضاري، وبناء هذه الثقافة السننية التكاملية، التي إذا ما كتب للأجيال الإسلامية الجديدة، أن تستوعبها وتلتقي عليها، وتلتزم بها في تفكيرها، وفي مواجهتها لتحديات البناء الحضاري، ستحدث في حياتها نقلة عميقة وشاملة على طريق الخروج من الدوامات المهلكة، و تجاوز الأفعال المعتلة و المنقوصة والمنهوكة، إلى الأفعال الأصيلة والفعالة والمطردة، التي تراكم وتطور المكاسب والتجارب والخبرات على طريق النهوض والتجديد الحضاري المتكامل للأمة.

وإدراكا منها بالموقع الحيوي لمنظومة مالك بن نبي الفكرية والمنهجية من الاتجاه الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر، تعمل على تيسير طريق الاتصال بعالمه الثقافي الخصب، للأجيال الجديدة، التي ستجد فيه ما يؤسس وعيها الحضاري، ويمدها بالآليات المنهجية التي تضمن لها سلامة الفهم وفعالية الإنجاز، وديمومة حيوية الاندفاع بحركة التغيير و الإصلاح و التجديد نحو الأفضل باستمرار.

وفي خاتمة هذه المقدمة نود أن نؤكد بأن اهتمامنا بمالك بن نبي، ورغبتنا في المساهمة بالتعريف بفكره ومدرسته في فقه الحضارة والصراع أو التدافع الحضاري، ليس القصد منه التمجيدية أو التبجيلية الفارغة، أو الإمعية البليدة، أو التعصب الجهول له، أو الانحباس عنده، والإصرار علي التغاضي عن نواقص تجربته، وإنما الإنصاف له، وتمكين أجيال الأمة من الاستفادة من تجربته، واستكمال حلقات القوة والرشد فيها، وتجاوز حلقات الضعف والقصور فيها، على طريق النهضة الحضارية الإسلامية العالمية الإنسانية الكونية، التي لا تقف عند شخص أو جماعة أو حزب أو طبقة أو قطر أو جيل، ولا تتوقف على أي منها منفردا أو ترتهن به أو له، بل هي مسار بنائي تراكمي تكاملي متواصل، يساهم في تأصيله وتفعيل حركيته ووقاية منجزاته، الجميع، وفق سنة: "كل ميسر لما خلق له".

وفي هذه البنائية التراكمية التكاملية الممتدة، يقول رحمه الله: "إن من الواجب ألا توقفنا أخطاؤنا عن السير حثيثا نحو الحضارة الأصيلة.. فإن الحياة تدعونا أن نسير دائما إلى الأمام، و إنما لا يجوز لنا أن يظل سيرنا نحو الحضارة فوضويا، يستغله الرجل الوحيد، أو يضلله الشيء الوحيد، بل ليكن سيرنا علميا عقليا، حتى نرى أن الحضارة ليست أجزاء مبعثرة ملفقة، ولا مظاهر خلابة، وليست الشيء الوحيد، بل هي جوهر ينتظم جميع أشيائها، وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية".

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) –التوبة 105.

استثمار الاختلاف

الاختلاف بين الناس أمر واقع وحقيقة واقعية لا يماري فيها إلا مكابر،وكلّ محاولة لرفعه وهم وسراب ومضيعة للوقت ، وصرف للطاقات في غير أبوابها وبعث للخصومات من مراقدها،وخدمة أعداء المختلفين معا،وخاصة حين تحوّلهم لمتخاصمين ضيّعوا عقولهم ونباهتهم،في جو تهيمن فيه الأنانية على العقول والقلوب والهمم.

أ.د. عمار جيدل

وفي ظل غياب العقل والنظرة الموضوعية والرسالية، كثيرا ما يفضي الاختلاف إلى العنف المتشكّل في أنماط متنوعة،والمتدثّر بلبوس الوطنية حينا والديمقراطية حينا آخر، والإسلام حينا ثالثا،والانتماء الثقافي ببعده العرقي حينا رابعا،ويتدرّج عموم الناس بالتدرّب على العنف بدءا من العنف بالقول إلى العنف باليد إلى العنف باستعمال السلاح،وهكذا تتنوّع الأفعال العنيفة وتتدرّج حتى تصبح عملا عاديا جزءا من الحياة في تناقضاتها.

واقعية الأمر يفرض التسليم به كحقيقة واقعية موضوعية، ونحسن التعامل معه والاستفادة منه، بقدر الطاقة البشرية السوية المرتبطة بالأمة والمجتمع في ميراثها ومحرّكات تنميتها، هذا هو المتاح والممكن، فماذا فعلنا في هذا الأمر؟

الأصل أن يكون الاختلاف وسيلة مهمّة للتنوّع، وأداة فعالة لدفع الابتزاز الذي يمارسه المخالفون لكلّ من يأنس من نفسه الانتساب إلى هذا المجتمع والدولة، ففي الأوضاع السوية تترّس السلطة بالمعارضة الحقيقية لدفع الابتزاز الذي تمارسه القوى العظمى- مرافعة عن مصالحها وحاضر مستقبل مكاسبها- لأجل مصلحة الأمة والمجتمع ومن ثمّ الدولة،وتستثمر المعارضة الفرصة لإحداث حيوية حقيقية (وليس مهرجانية) في المشهد الاجتماعي والسياسي،كلّ ذلك أيضا لأجل خدمة الأمة والمجتمع، ولكننا للأسف لا نحسن توظيف اتفاقنا، فكيف السبيل إلى استثمار اختلافنا؟

نحن غارقون في تقصيرنا وقصورنا، فالأحسن أن يكون اختلافنا وفق أسلوب حضاري نُعبّر به عن التنوّع والوعي والحرية، لأجل بعث حيوية في حياتنا الفكرية والتربوية والسياسية والثقافية، وكلّ ذلك لأجل بعث الفعالية في حياتنا

الوسائل المحبّذة لفك الخصومات أوالاختلافات، هي الناب والمخلب أوما يقوم مقامهما،لهذا شاع استعمال العنف بين الناس في فك نزاعاتهم، الأب مع أبنائه، الجار مع جيرانه، التاجر مع زبائنه،المدرب مع لاعبيه، رئيس الفريق مع أعضاء النادي،المسئول مع المُدْرَجِين تحت وصايته،الأستاذ مع طلبته، المعلّم مع تلاميذه،...، وكثيرا ما يكون العنف مبطّنا،كالمنع من الحق أوتعطيله،أوتسليط عقوبة معنوية على المخالف،وهي أساليب اجيّدةب لتكوين جيل من كتبة حواشي على متن المسئول، يرتزقون بها أويدفعون بها ضررا محتملا أوواقعا، وإذا تعذّر تحقيق المقصود أوالمطلوب، لجأنا إلى أقرب مفازة،بعناوين مختلفة، من نحو القانون (والقانون بريء مما اقْتُرِف باسمه)، أومصلحة المؤسسة أوالدولة (وهما بريئان منهما كلّ البراءة)، فكان من الأساليب المحبّذة، كما أشرنا إليه أعلاه، استعمال العنف للحفاظ على مكاسب غير مشروعة أوالاستحواذ على أخرى من جنسها.

انتشرت بيننا للأسف أنواع مختلفة من الظلم المغلّف بالعنف المعنوي والمادي أحيانا، فمن الظلم الذاتي أوالشخصي أن يظلم المرء نفسه بظلم الآخرين، لأن الظلم ظلمات وخزي يوم القيامة وندامة وضعف في الدنيا، والواقع الاجتماعي شاهد على ما وقع للظالمين مع أنفسهم بل وأقرب الناس إليهم.

كما شاع بيننا ظلم أفقي يظلم بموجبه الناس بعضهم بعضا، ويتجلى في الفضاءات المشار إليها أعلاه، البيت، الحي، التجارة، الصناعة،...فلا تخلو مؤسسة من ظلم العمال أوالموظفين لبعضهم البعض، كظلم الجيران لبعضهم بعضا، ولكن الأخطر منه الظلم العمودي، الظلم الذي يمارسه المسئول على مرؤوسيه، بل لعلّه مولّد وباعث الحياة في الظلم الأفقي.

أسباب الظلم عدم الإقرار الواقعي بقصورنا بل وتقصيرنا في حق مجتمعنا وأمتنا ودولتنا،نعم هناك إقرار نظري بأننا مقصرون ولكنّه للأسف، منسوخ بالعصمة الواقعية التي نخلعها على اجتهاداتنا وتصرفاتنا، أويخلعها علينا كتبة الحواشي والمتزلّفون، الأنانيون بعنوان المصلحة والعدالة، كأنّهم يعدمون تلك القيم بتبنيها، بل قد يدفعون المجتمع إلى الكفر بها للأسف الشديد من خلال النماذج السيّئة التي ترافع عنها.

أوّل طريق حسن استثمار الاختلاف، التحقق العقلي والوجداني بأننا بشر نخطئ ونصيب، وأخطاؤنا أكثر من صوابنا،لهذا يطلب أن يتحوّل إقرارنا بعدم عصمتنا من الناحية النظرية (هو نفسه لا يسلّم بعصمته وليس في البشر من يسلّم له بها) إلى إقرار واقعي بها،نبتعد به عن إنزال أنفسنا ومؤسساتنا فوق مقام الفحص والتمحيص والمساءلة ،ذلك أنّ واقعنا المعيش شاهد إثبات أنّنا بحاجة إلى فسح المجال للمختلف في التعبير عن رأيه، وإرادته، والواقع بكلّ مكوّناته شاهد إثبات، وكفى بها شاهدا، منها على سبيل المثال لا الحصر، استدراك اللاحق على السابق أفرادا ومؤسسات وسلطا،وأنظمة ونُظُما و... ولهذا الاستدراك مبرراته الطَبْعِيَة (طبيعة البشر) والنفسية والاجتماعية، فقصورنا لا يماري فيه أحد، قصورنا بالجهل والعجز والخطأ،فضلا عن تقصيرنا حين نكون اكاملينب،وخاصة حال الخضوع لنوازعنا التي تشدّنا إلى الأرض بكل معانيها وأبعادها، تلك التي لا تنفصل عنا في الغالب الأعم، ومن ثمَّ كان تصور بعض البشر أنهم كاملين لا قصور يشوبهم ولا تقصير يشوب تصرّفاتهم وأفكارهم وتدبيرهم، تصور غير سليم وغير موضوعي، بل هو أجلى دليل على قصورهم وتقصيرهم في الوقت نفسه لأنّ مِن يخطّئ يخطئ، ولعلّه في تخطئته مخطئ، تَصَوُّر بشر أحاطوا بكلّ شيء علما لا يعزب عنهم مثقال ذرة من المعارف والأفكار والتصرّفات،فلا يغيب عنهم لا كبير ولا صغير، مخالف لطبيعة النفوس البشرية.

البشر متفاوتون علما وإدراكا وفهما وخبرة وتذكّرا ونسيانا وتفاعلا مع مطالب الدنيا من الشهوات والأهواء، بل متفاوتون أيضا في الخضوع لها والمنافحة دونها، والتي قد يكون بعضها مباحا أوواجبا بالجزء"المال والبنون زينة الحياة الدنيا" "زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والنسل"، وفضلا عن ذلك فإن تلبية حاجات الإنسان الغريزية من متطلبات البقاء، أي بقاء الإنسان في نفسه ونسله المادي والمعنوي،لهذا جعل الشارع الحكيم تحقيق تلك المعاني أمورا مباحة في أصل وضعها،إلاّ أنّ الناس في تعاملهم مع جلبها متفاوتون؛ فمنهم من يُقْبلَ عليها إقبال المجنون الشره، فيضطر لنيلها أوحمايتها إلى استعمال المخلب والناب بعد فشل معركة التخوين والتأثيم وقد يبلغ به حبّها والتعلّق بها أَدْرَكَ دَرَكَات البشرية، فيصبح قريبا من البهائم في لغتها وتصرفاتها وعوائدها، ووسائلها في فض خصوماتها، هذا إن لم يكن أشنع،لأنّ الحيوانات لا تضر إلاّ حيث تلجئها ضرورات البقاء، تستفيد ولا تضر لمجرد الإضرار بغيرها، والبشر منهم الذي يتسامى ويتعقّل ويعتدل في التعامل مع حاجاته، وهذا الصنف في التعامل معها مقامات، فبضعهم في مستهل سلّم المقامات وبعضهم في وسطه وآخرون في أعلاه.

ولا يمكن الخلوص إلى فهم كلّ ذلك إلا في كنف معطيات الطبائع البشرية في تكوينها النفسي والاجتماعي والعلمي والتربوي بكلّ روافده، وهو المدخل الرئيس لإدارة جيّدة وفعالة واستثمارية لاختلافاتنا، وجعلها قوّة اقتراح حقيقي في الواقع المعيش.

العجز عن إدارة الاختلاف، ترجع إلى مركّبات وليس عاملا منفصلا،لكنّها في الغالب كسبية، تُتَلَقى من خلال مؤسسات صناعة الوعي الرسمية أوغير الرسمية (الأسرة، المسجد، المسرح، الإعلام، المجتمع،)...، لأننا لا نُخْلَق عاجزين عن إدارة اختلافاتنا، بل كَسَبْناها أولُقِّنت لنا،ذلك أنّ الإنسان يولد حرا"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا كما سيدنا عمر بن الخطاب ؟رضي الله عنه"-،وإنّما يفقد حريته بما يكسبه من عادات وتربية على الخنوع،فيتحل من أمر مكتسب إلى خُلُق،بل قد يصل أحيانا إلى نوع من الأمر الخِلْقي،كأنّه وُلِد معتوها،وبهذا الصدد حُقَ لنا أن نردد قول الرجل الصالح عندما سُئِل:هل الإنسان مُخَيَّر أم مُسَيَّر؟ فقال-رحمه الله- الإنسان الغربي مُخَيَّر والإنسان الشرقي مُسَيَّر،(أ.ه) وما أصبح الشرقي كذلك إلا بما تلقاه وعاشه وعايشه في مؤسسات صناعة الوعي وشعاب الحياة في بيئته.

التحوّل بالإنسان الشرقي إلى إنسان عادي (قبل الحديث عن الإسلام لأنّه أعظم من تصوّراتنا عنه فقط)، بحاجة إلى استعادة حريته من نفسه قبل الآخرين، ثم الإقرار العملي بحق الآخرين في حريتهم في إطار الانتماء إلى هوية واحدة وما يفرضه العيش المشترك بين مكوّنات المجتمع،ورأس أمارات الإقرار بها، الحق في الاختلاف، ثم الحق في التعبير عنه، والحق في تحويله إلى مشروع فكري واجتماعي،يصب في النهر العام لتثقيف المجتمع، لأنّ الاختلاف ثراء ودليل حياة المجتمع، وليس دليل خيانة، لأن من يعتبره دليل خيانة،فقد خان الوطن والأمة والمجتمع، وخالف طبيعة النفوس البشرية، وبدائه الأمور،وأنزل نفسه أومؤسسته مقاما ليست بالغته مهما بذلت من جهد.

نحن غارقون في تقصيرنا وقصورنا، فالأحسن أن يكون اختلافنا وفق أسلوب حضاري نُعَبِّر به عن التنوُّع والوعي والحرية، لأجل بعث حيوية في حياتنا الفكرية والتربوية والسياسية والثقافية، وكلّ ذلك لأجل بعث الفعالية في حياتنا، ومن لا يقوى على سماع الرأي المخالف، لا ينتظر أن يسمع له المُخالِف فضلا عن أن يصغي إليه، والتظاهر بالسماع لدفع ضرر أوجلب نفع، ليس من الموضوع الذي نحن بصدده،لأنّ ثقافة تسيير الاختلافات وتثمينها واستثمراها لأجل الوطن والمجتمع، لا تأتي من فراغ، ولا ينتجها التَصَنُّع والمظاهر الكاذبة، وإنّما هي برنامج وفق خطة مضبوطة، ليس فيها للارتجال والعبثية والاسترزاقية مجال، وهذه الأساليب البدائية بأدوات حديثة، ليست إلا إبطاء لنهضتنا،وتعطيل لمشاريع تنميتنا، وتضييع للأوقات وهدر للطاقات فيما يضر ولا ينفع.

دور اللوبي الإسرائيلي في السياسة الخارجية الأمريكية (6/6)

بقلم: جون ميرشايمر وستيفان والت - ترجمة: د. بدران بن الحسن

سلاح معاداة السامية:

إن أي نقاش لدور اللوبي الإسرائيلي لا يكتمل دون مناقشة واحد من أقوى أسلحته؛ ألا وهو دعوى معاداة السامية. فكل من ينتقد تصرفات إسرائيل أو يناقش المجموعات المؤيدة لإسرائيل أو تأثير هذه المجموعات في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط فإنه يتعرض لأن يوسم بأنه معاد للسامية.

وفي الواقع، فإن أي أحد يدعي أن هناك لوبي إسرائيلي فإنه معرض لأن يتهم بمعاداة السامية، بالرغم من أن الإعلام الإسرائيلي يشير إلى اللوبي اليهودي في أمريكا. بعبارة أخرى، فإن اللوبي يمارس تأثيره أولا، ثم يهاجم كل من ينبه إلى وجوده. إنه تكتيك فعّال جدا؛ فلا أحد يرغب في أن يتهم بأنه معاد للسامية.

إن الأوروبيين أكثر رغبة من الأمريكيين في انتقاد السياسة الإسرائيلية، حيث يرجع البعض ذلك إلى ثورة معاداة السامية في أوروبا. حيث يرى السفير الأمريكي لدى الاتحاد الأوروبي في بدايات 2004 أن معاداة السامية في أوروبا شبيه بما كانت عليه في الثلاثينيات من القرن العشرين. لكن الحقيقة أن قياس معاداة السامية أمر معقد، غير أن المعطيات تشير إلى عكس ما قاله السفير . ففي ربيع 2004 لما شاعت في أمريكا أن معاداة السامية تعم أوربا، أجريت استطلاعات للرأي العام الأوروبي من قبل "رابطة مضادة القذف" الأمريكية و"مركز باو للبحوث" ووجدا أن معاداة السامية في تناقص. في حين أن في الثلاثينيات من القرن العشرين لم تكن معاداة السامية منتشرة بين الأوروبيين فقط بل كانت أمرا مقبولا.

يضع مؤيدوا إسرائيل معاداة السامية مساوية لانتقاد إسرائيل. وبعبارة أخرى، فانتقادك للسياسة الإسرائيلية يجعلك متهما بالمعاداة للسامية.

لما قرر مجلس الكنائس في بريطانيا الانسحاب من الاستثمار في شركة كاتربيلر للجرافات على أساس أنها تصنع جرافات يستعملها الإسرائيليون في هدم بيوت الفلسطينيين، فإن كبير الربِين (الحاخامات) اعتبر هذا القرار له أثر كبير مضاد للعلاقات اليهودية المسيحية في بريطانيا، في حين اعتبر الربِي توني بايفيلد رئيس الحركة الإصلاحية أن "هناك مشكلة واضحة من العداء للصهيونية تقترب من العداء للسامية، مواقف تظهر بين أتباع الكنيسة وحتى بين قياداتها الوسطى". غير أن الحقيقة أن الكنيسة نالت هذا الاتهام لأنها عارضت سياسات الحكومة الإسرائيلية.

الانتقادات الموجهة إسرائيل تعتبر -في نظر مؤيديها - أيضا على أنها محاكمة إسرائيل لمعايير ظالمة، وأنها تشكيك في حق إسرائيل في الوجود. إن الانتقادات الغربية لا تشكك أبدا في حق إسرائيل في الوجود؛ بل تتجه إلى مساءلة تصرفاتها مع الفلسطينيين، كما يفعل الإسرائيليون أنفسهم. إن تعامل إسرائيل مع الفلسطينيين تتعرض لانتقادات لأنها تتعارض مع المتعارف عليه من أفكار وحقوق الإنسان، وتتعارض مع القانون الدولي، ومبدأ تقرير المصير. وهي تقريبا الدولة الوحيدة التي تتعرض إلى مثل هذا النقد على هذا الأساس السابق الذكر.

من دعم إيجاد إسرائيل إلى دعم هيمنتها في المنطقة

إن ضمان الدعم الأمريكي للسياسة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين أمر بالغ الأهمية عند الحديث عن اللوبي الإسرائيلي، غير أن تطلعات اللوبي لا تقف هنا، ذلك أن اللوبي يريد من أمريكا أن تساعد إسرائيل على أن تكون القوة المهيمنة إقليميا. الحكومة الإسرائيلية والمجموعات الداعمة لها في أمريكا عملت ولا تزال لتشكيل وصياغة سياسات الإدارة الأمريكية نحو العراق وسوريا وإيران، وكذلك مخططها الشامل لإعادة تنظيم الشرق الأوسط.

إن الضغط من قبل إسرائيل واللوبي الإسرائيلي لم يكن العامل الوحيد من وراء غزو العراق في مارس 2003, غير أنه العامل الحاسم. وبالرغم من أن بعض الأمريكيين يعتقد أنها حرب من أجل النفط، لكن لا يوجد دليل قوي لدعم هذا الاعتقاد. وخلاف ذلك، فإن الحرب كانت يحركها أكثر الحرص على أمن إسرائيل. وحسب فيليب زيليكو، العضو السابق في المكتب الاستشاري الرئاسي للاستخبارات الخارجية، والمدير التنفيذي للجنة 119, ومستشار كوندوليزا رايس الحالي، فإن "الخطر الحقيق" الآتي من العراق لم يكن خطرا على أمريكا، فإن "الخطر غير المعلن" كان "الخطر على إسرائيل". وهو ما صرح به زيليكو أمام جمع من الحضور في جامعة فرجينيا في سبتمبر 2002. وكما أضاف، فإن "الحكومة الأمريكية لا تريد الحديث عنها بقوة لأنها أمر لا يحضى بشعبية كبيرة".

وفي 16 أوت 2002, أي أحد عشر يوما قبل أن ينهي ديك تشيني حملته الدعائية لصالح الحرب أمام قدماء المحاربين، أوردت الواشنطن بوست ما مفاده أن "إسرائيل تستعجل المسئولين الأمريكيين أن لا يؤخروا الضربة العسكرية ضد عراق صدام حسين". ووفي هذه اللحظة، حسب شارون، فإن التنسيق الاستراتيجي بين إسرائيل وأمريكا وصل إلى "أبعاد غير مسبوقة"، وأن مسؤولي الاستخبارات الإسرائيلية زودوا واشنطن بتقارير تحذيرية عن برامج أسلحة الدمار الشامل العراقية. وكما يبين ذلك أحد الجنرالات الإسرائيليين المتقاعدين فيما بعد، بقوله "أن الاستخبارات الإسرائيلية كانت شريكا كاملا في تشكيل الصورة التي قدمتها الاستخبارات الأمريكية والبريطانية فيما يتعلق بالقدرات التسليحية غير التقليدية للعراق".

في أمريكا، فإن القوة المحركة الأساس للحرب على العراق كانت مجموعة صغيرة من المحافظين الجدد اللذين لهم صلات بحزب الليكود الإسرائيلي. غير أن قادة المنظمات المشكلة للوبي الإسرائيلي رفعت من صوتها الدعائي للحرب. ولما أراد بوش "تسويق فكرة الحرب على العراق"، وكما أوردت صحيفة فورورد، فإن "أهم المنظمات اليهودية الأمريكية قامت بحملة دعائية للدفاع عن بوش. وببيان بعد بيان، فإن قادة الجالية اليهودية ركزوا على الحاجة إلى استئصال عالم صدام حسين وأسلحته للدمار الشامل... وكان أمن إسرائيل العامل المحرك لأهم الجماعات اليهودية".



وبالرغم من أن المحافظين الجدد وقادة اللوبي الإسرائيلي كانوا متحمسين لغزو العراق، فإن الجالية اليهودية الأمريكية لم تكن متحمسة لذلك. وبعد بداية الغزو مباشرة، أورد ساموئيل فريدمان بقوله أن "تقارير استطلاعات الرأي قام بها مركز بيو للبحوث (Pew Research Center) أظهرت أن اليهود أقل دعما للحرب على العراق من غيرهم من السكان". ولهذا فإنه من الخطأ عزو الحرب على العراق إلى التأثيرات اليهودية. ولكن في الحقيقة، ترجع الحرب في قدر كبير من أسبابها إلى تأثير مجموعات اللوبي الإسرائيلي، وخاصة المجموعات التي تضم المحافظين الجدد.

911 الفرصة الذهبية:

إن المحافظين الجدد كانوا عازمين على القضاء على صدام حسين قبل مجيء إدارة بوش. وقد سعوا إلى ذلك في بدايات 1998 من خلال نشر رسالتين مفتوحتين إلى الرئيس كلينتون، داعين فيها إلى نزع صدام من السلطة. وكان معظم الموقعين عليها من الذي لهم صلات قوية بالمجموعات الداعمة لإسرائيل أمثال (JINSA) و(WINEP)، ومن بين من تضمنتهم قائمة الموقعين نجد إليوت أبرامس، وجون بولتن، ودوغلاس فيث، ووليم كريستول، وبرنارد لويس، ودونالد رمسفيلد، ورتشارد بيرل، وبول ولفويتز. ودعوا إلى أن تتبنى إدارة كلينتون الهدف العام المتمثل في إزالة صدام من السلطة. غير أنهم لم يستطيعوا تسويق فكرة الحرب، كما لم يكونوا قادرين على تسويقها في الأشهر الأولى من حكم بوش الابن، وكانوا في حاجة على مساعدة ما لتحقيق ذلك الهدف. وأتت المساعدة في 119. وبصورة أخص، فإن أحداث ذلك اليوم جعلت من بوش وتشيني يعكسان الأمر ويصيران داعيين قويين للحرب الاستباقية.

وفي اجتماع مهم في كامب ديفيد بتاريخ 15 سبتمبر 2001, دعا ولفويتز إلى مهاجمة العراق قبل أفغانستان، بالرغم من أنه لم تكن هناك أدلة على تورط صدام في الهجمات على أمريكا، وأن بن لادن كان معروفا أنه في أفغانستان. رفض بوش الرأي واختار الذهاب إلى غزو أفغانستان بدلا من ذلك، ولكن الحرب على العراق صارت أمرا ينظر إليه بجدية، وفي 21 نوفمبر 2001 كلف الرئيس بوش المخططين العسكريين بتطوير خطط عملية لغزو العراق.

هناك من المحافظين الجدد من كان يشتغل في أروقة السلطة. وبالرغم من أننا لا نعرف القصة الكاملة بعد، ولكن علماء أمثال برنارد لويس من جامعة برنستون، وفؤاد عجمي من جامعة جونز هوبكنز قاما بأدوار مهمة في إقناع تشيني بأن الحرب هي الاختيار الأمثل، بالرغم من أن إريك إيدلمان وجون حنا وسكوتر ليبي -كبير موظفي مكتبه- وهم من المحافظين الجدد في مكتب تشيني قاموا هم أيضا بدورهم في إقناعه بالحرب. ومع بدايات 2002 كان تشيني قد أقنع بوش، وبوجود بوش وتشيني على المشهد، صارت الحرب لا مفر منها.

وماذا عن إيران؟

ربما يرى البعض أن إسرائيل واللوبي الإسرائيلي لم يكن له تأثير كبير على سياسة أمريكا تجاه إيران، لأن أمريكا لها أسبابها الخاصة بها لمنع إيران من أن تصير قوة نووية. وهذا فيه نصيب من الصحة، غير أن طموحات إيران النووية لا تشكل خطرا مباشرا على أمريكا. فإذا استطاعت واشنطن أن تتعايش مع الاتحاد السوفياتي النووي، ومع الصين النووية، ومع كوريا الشمالية النووية، فإنها تستطيع أن تتعايش مع إيران النووية. ولذلك بقي اللوبي الإسرائيلي يضغط باستمرار على السياسيين لمواجهة إيران. ومن الصعب أن تكون إيران وأمريكا حليفين لو افترضنا عدم وجود اللوبي الإسرائيلي، غير أن السياسة الأمريكية ستكون أكثر اعتدالاً، وان الحرب الاستباقية لا تكون خيارا جديا.

ليس مستغربا أن إسرائيل وأنصارها الأمريكيين يريدون من أمريكا أن تتعامل مع أي خطر بل ومع كل الأخطار التي تهدد أمن إسرائيل. وإذا نجحت مساعيهم في تشكيل السياسة الأمريكية، فإن أعداء إسرائيل إما يتم إضعافهم أو القضاء عليهم، وإن إسرائيل ستكون لها اليد الطولى مع الفلسطينيين، وأن أمريكا ستقوم بدلا منها بمعظم الحروب، وتتحمل معظم الضحايا، وإعادة التعمير، والتكاليف. ولكن حتى لو فشلت أمريكا في تغيير الشرق الأوسط ووجدت نفسها في مواجهة راديكالية متصاعدة في العالم العربي والإسلامي، فإن إسرائيل ستكون محمية من القوة العظمى الوحيدة في العالم. هذا هو الهدف الأسمى والمطلق الذي يعمل وفقه اللوبي الإسرائيلي. ولكنه من الأفضل لواشنطن أن تبعد نفسها، أو أن تستعمل قوة نفوذها إرغام إسرائيل على تحقيق السلام مع الفلسطينيين.هل يمكن التقليص من قوة اللوبي الإسرائيلي؟

يرجو الواحد ذلك، وخاصة مع كارثة العراق، والحاجة الواضحة إعادة تشكيل صورة أمريكا في العالم العربي والإسلامي، إضافة إلى التسريبات الأخيرة عن منظمة الأيباك (AIPAC) وتسريبها لأسرار الحكومة الأمريكية لإسرائيل. كما أنه يمكننا القول أن موت عرفات ووصول محمود عباس إلى السلطة وهو أكثر اعتدالا سيدعو واشنطن إلى الضغط بقوة وتصميم من أجل اتفاق سلام.

وبعبارة مختصرة، هناك أسس واسعة للقادة للابتعاد عن اللوبي وتبني سياسة شرق أوسطية أكثر انسجاماً مع المصالح الأمريكية. وبخاصة، فإن استعمال قوة أمريكا من أجل تحقيق سلام عادل بين إسرائيل والفلسطينيين يساعد على الدفع بقضية الديمقراطية في المنطقة.

غير أن ذلك لن يحدث قريبا، فإن أيباك (AIPAC) وحلفائها (بما في ذلك المسيحيين المتصهينين) ليس لديهم خصوم حقيقيين في عالم اللوبيات. إنهم يعلمون أنه صار من الصعب دعم إسرائيل، وأنهم يستجيبون لذلك باستيعاب المسؤولين، كما يوسعون من نشاطاتهم. إضافة إلى أن الساسة الأمريكيون مازالوا حساسين في الحقيقة لحملات التبرعات وبعض أوجه الضغط السياسي الأخرى، وأن معظم الوسائل الإعلامية

مازالت متعاطفة مع إسرائيل مهما فعلت.

إن تأثير اللوبي الإسرائيلي تسبب في مشاكل على أكثر من جبهة. فقد أدى إلى تزايد الخطر الإرهابي الذي شمل معظم الدول، بما فيها حلفاء أمريكا من الأوروبيين. كما جعل من المستحيل إنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهي الوضعية التي أعطت "للمتطرفين" قوة تعبئة هائلة، وتوسع من دائرة الإرهاب والمنخرطين فيه والمتعاطفين معه، وتساهم في توسيع "الراديكالية" الإسلامية في أوروبا وآسيا.

ومما يثير المخاوف أيضا، سعي اللوبي إلى الدعاية إلى تغيير النظام في سوريا وإيران، وما قد يؤدي إليه من مهاجمة أمريكا لتلك الدولتين، وما يمكن أن يتسبب فيه من كوارث. إننا لا نحتاج على عراق آخر. وفي أقل أحواله، فإن عداء اللوبي الإسرائيلي لسوريا وإسرائيل يجعل من المستحيل على واشنطن أن تحصل على دعمهما في حربها على القاعدة والمقاومة العراقية، حيث الحاجة على عونهما في غاية الأهمية.

كما أن هناك بعد أخلاقي، فبسبب اللوبي الإسرائيلي، صارت أمريكا المسهِّل الأساس للتوسع الإسرائيلي في الأراضي المحتلة، جاعلاً من أمريكا شريكا في الجرائم المرتكبة في حق الفلسطينيين. وهذا ينقص من جهود واشنطن في الترويج للديمقراطية في الخارج وتجعل منها منافقة لما تضغط على الدول الأخرى من أجل حماية حقوق الإنسان. كما أن جهود أمريكا في الحد من الانتشار النووي تبدو نفاقية بسبب تغاضيها عن الترسانة النووية الإسرائيلية، مما يشجع إيران ودول أخرى للسعي لتحقيق القدرات نفسها.

إلى جانب ذلك، فإن حملات اللوبي الإسرائيلي لقمع النقاش حول إسرائيل مضر بالديمقراطية. فإن إسكات المتشككين، من خلال وضعهم في قوائم سوداء، أو مقاطعتهم، أو باتهامهم بمعاداة السامية، ينتهك مبادئ النقاش الحر الذي تنبني عليه الديمقراطية. وإن عجز الكونغرس عن القيام بنقاش جدي حول هذه القضايا المهمة يشل مسار نشر الديمقراطية. وإن داعمي إسرائيل أحرار في الدفاع عن قضيتهم وتحدي أولئك الذين يخالفونهم، ولكن مساعي خنق النقاش عن طريق الترهيب والتخويف أمر ينبغي التنديد به بصراحة.

وأخيرا، فإن تأثير اللوبي كان مسيئا لإسرائيل. فإن قدرته على إقناع واشنطن لدعم سياسة إسرائيل التوسعية سجع إسرائيل على عدم اغتنام الفرص - بما فيها اتفاقية سلام مع سوريا، وتطبيق كامل لاتفاق أوسلو - التي كانت من الممكن أن تحمي حياة الإسرائيليين وتحجم من قوة االمتطرفينب الفلسطينيين. إن إنكار الحقوق الشرعية للفلسطينيين لم تجعل من إسرائيل أكثر أمناً، وكذلك فإن حملات اغتيال أو تهميش جيل كامل من القيادات الفلسطينية قوّى الجماعات االمتطرفةب مثل حماس، وقلصٍ من عدد القيادات الفلسطينية التي تقبل حلا عادلا وتجعل منه قابلا للتحقق . وإن إسرائيل نفسها ربما تكون أفضل لو كان اللوبي أقل قوة وأن السياسة الأمريكية كانت أكثر عدلا.

هناك بريق أمل بالرغم من ذلك. فبالرغم من بقاء اللوبي قويا، فإن الآثار العكسية لتأثيره تتزايد صعوبة إخفائها. ذلك أن الدول القوية قد تحتفظ بسياسات خاطئة لمدة معينة، غير أنها لا تستطيع إنكار خطئها إلى الأبد. والمطلوب هو نقاش صريح لتأثير اللوبي الإسرائيلي، ونقاش أكثر انفتاحا حول المصالح الأمريكية في هذه المنطقة الحيوية. فوضعية إسرائيل واحدة من تلك المصالح، لكن استمرار احتلالها للضفة الغربية، وسياساتها في تلك الجهة ليسا كذلك. إن النقاش المفتوح سيبين الحدود الإستراتيجية والأخلاقية للقضية لمن ينظرون بالعين العوراء للدعم الأمريكي، وقد يؤدي بأمريكا على تغيير موقعها لتكون أكثر اتزانا في رعاية مصالحها القومية، ورعاية مصالح الدول الأخرى في المنطقة، ومصالح إسرائيل طويلة الأمد أيضا.

مشكلة الطعن في العلماء !!

عندما طلع علينا الدكتور حسن الترابي، بفتواه المتعلقة بزواج الكتابي من مسلمة، التي هزت عالم المسلمين، سألني بعض الإخوة ممن تربطني بهم رابطة الدعوة إلى الله، وساحة العلم الشرعي، ما رأيك في ما قال الترابي؟! توقفت ولم أقل شيئا..، فكرروا السؤال.. فامتنعت.. فكرروا ثالثة، فقلت: إن الإسلام هو الذي يربطنا بالترابي، فإذا حاد الترابي عن هذا الإسلام فلا علاقة لنا به.

التهامي مجوري




ولكن ما ينبغي أن ندرسه أو نتحاور فيه هو، ماذا قال الترابي بالضبط؟! وما الذي دفعه إلى هذا القول؟ وما الجديد الذي جاء به؟ لأن الترابي ليس رجلا عاديا يمكن أن يقول فيه من شاء ما شاء!! سواء من الموافقين له أو المعارضين لرأيه..، وإنما هو رجل ذو سبق في العمل الإسلامي، وصاحب تجربة ثرية، وصاحب قدم راسخة فيما يقول، وإلى جانب كل ذلك، هو رجل يؤخذ من كلامه ويرد، وإلى هنا أتوقف عن التعليق على ما قال وأترك الأمر لأهل الاختصاص، لأعود إلى مشكلة نعيشها نحن أبناء الجزائر، وربما تفردنا ببعض جوانبها، وهذه المشكلة هي مشكلة الطعن في العلماء.

في أواخر الثمانينيات، كان الشيخ محمد الغزالي بالجزائر، وكانت علاقته بالرئيس الشاذلي بن جديد علاقة طيبة، بحيث قام بما لم يستطع القيام به في بلاده بشهادته هو رحمه الله. وقال في إحدى المناسبات للرئيس الشاذلي "ألهمت رشدك كما ألهم إبراهيم رشده"، فقامت قائمة شبابنا، كيف يقول هذا الكلام لحاكم طاغية؟!! ففسقه بعضهم، وكفره بعضهم الآخر، هذا بالنسبة لشبابنا، أما مسؤولينا، فقد قالوا عنه أكثر، حيث ذهب بعضهم إلى أن الشيخ رحمه الله كان سببا في ظاهرة الإرهاب بالجزائر!! وقل مثل ذلك عن الشيخ أحمد سحنون، الذي حكمت عليه "الحزبية العمياء" بالخرف، وبالسذاجة، وبالانحياز إلى طرف على حساب طرف آخر، من الجماعات العاملة في الحقل الدعوي الإسلامي!! وما قيل عن البوطي أكثر حيث لقبه بعض أبناء الحركة الإسلامية في الجزائر بـ"القوطي".

ومن الغرائب وعجائب الشباب الجزائري أيضا، أن فتاة كتبت رسالة تثبت فيها أن الشيخ عبد الحميد بن باديس ليس سلفيا!!

أما ما نسمعه بين الحين والآخر من تحذيرات، من علماء معينين من القدامى أو المعاصرين، هذا أشعري وذاك حنبلي وثالث معتزلي ورابع ماسوني، وخامس عالم سلطة وبلاط، وسادس عميل...، فحدث ولا حرج.

إن العلماء هم سراج الأمة، أحببنا أم كرهنا، ولا يمكن لأمة أن تنهض إلا بالعلماء، ولا يمكن لأمة أن ترى النور إلا بالعلماء. يمكن لبعضهم أن يخطئ، ولكن الذي يحاسبه على خطئه هم العلماء، وليس العوام والدهماء!! وحتى أرباب السلطة لا يمكن أن تكون لهم سلطة على العلماء؛ بل العلماء هم الذين يملكون السلطة على الحكام.

فكم من عالم كنا نقول عنه عالم سلطة، ثم اكتشفنا أن فضله على البلاد كان كبيرا...، ولا أكثر من ذكر الأسماء هنا، حتى لا نقع في الشخصانية المقيتة.

قد تكون نوايا الناس طيبة في ردود أفعالهم تجاه مواقف معينة في ظروف معينة لعلماء معينين، ولكن النوايا ينبغي أن تكون منضبطة بما أوجب علينا الشارع الحكيم، من تقدير واحترام للعلماء؛ لأن العلماء الذين هم أهل الذكر في الأمة، والذين أوجب الله علينا العودة إليهم "فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ"، لحومهم مسمومة كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله..، واللحم المسموم، يجب التحرز من أكله.

لا شك أن مشكلة الدهماء والعوام مع العلماء ليست جديدة، لطبيعة موقع كل من الفريقين، ولكن كان للعلماء قدرا ومحيطا من النخب العلمية تحميهم من طيش العوام، أما اليوم وفي بلادنا الجزائر خصوصا، انعدم ذلك المحيط، وكاد يتحول إلى مستوى أضعف من الدهماء والعوام، بحيث انجر الجميع إلى خيارات غوغائية التي تدين العالم من غير أن تعرف له قدرا، في حين ان الله رفع قدر العلماء، فوجب على الأمة أن تقدرهم حق قدرهم، وإلا فقدت البوصلة التي تهتدي بها في ظلمات البر والبحر.

القرضاوي: شراء البضائع الإسرائيلية والأمريكية في هذا الوقت من الكبائر



قال فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي - رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين- في إحدى خطبه عن قضية المقاطعة الاقتصادية لمن يعادي الأمة الإسلامية:

هناك جهاد اقتصادي، وهو أن نفعل الفتوى التي أصدرتها وأصدرها معي عدد من علماء الأمة بتحريم التعامل مع البضائع الإسرائيلية والأمريكية، المقاطعة، مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، هذا واجب الأمة، كل ما يشير إلى أمريكا، مجرد الإشارة حتى ولو كانت وطنية، (كولا) كلمة كولا يعني أمريكا، هامبورجر، ماكدونالد، بيتزا، هذه الأشياء أمريكية، ارحمونا، كلما رأيت هذه العناوين ثارت نفسي وثار البركان في صدري، نريد أن تقاطع الأمة هذه البضائع، من زجاجة البيبسي إلى السيارة إلى الطائرة البوينج، نطالب الحكومات ونطالب الشعوب، أن تقاطع هذه البضائع وأن تنظم اللجان الشعبية لتفعيل هذه المقاطعة وترتيب الأولويات فيها، كل ما له بديل يجب أن يقاطع، ما الذي يجعلني أركب سيارة أمريكية وأستطيع أن أشتري سيارة يابانية أو سيارة ألمانية؟ لن أخسر شيئاً، المقاطعة، هذه المقاطعة واجبة على الجميع، الكبير والصغير..

في أول الانتفاضة رأينا العجب والله، رأينا الصغار الأطفال يقولون لآبائهم: لا يا أبي لا يا أمي هذه بضاعة أمريكية حرام، رأينا الأخوة في الهند في كيرالا يجتمعون في يوم الجمعة مثل هذا وكل واحد في يده زجاجة كوكاكولا ويكسرها إشارة إلى المقاطعة، ما الذي جعل الأمة تسترخي، نريد من الأمة من رجالها ونسائها من الأمهات في البيوت أن لا يشترين البضائع الأمريكية، وربما تكون هناك بضائع إسرائيلية تتسلل تحت أسماء وعناوين، من عرف ذلك فعليه أن يقاطع، حرام أي حرام، حرام بل كبيرة من الكبائر أن تشتري في هذا الوقت البضائع الإسرائيلية والأمريكية، هذا نوع من الجهاد، لابد أن نفعله ونتواصى به.

المصدر: موقع القرضاوي

خطبة الجمعة بتصرف - ألقاها الشيخ القرضاوي منتصف أفريل 2002



الدعاة وعملية الإبداع

عملية الإبداع هي مزيج من الخيال العلمي المرن، لتطوير فكرة قديمة أو لإيجاد فكرة جديدة مهما كانت الفكرة صغيرة ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف يمكن تطبيقه واستعماله.

هكذا عرف بعضهم الإبداع، وهذا يعني أنه لن يقوم بعملية الإبداع الدعوي إلا شخص يعيش المشكلة الدعوية، ويرى تفاصيلها بدقة، ويدفعه حماسه وحبه لدعوته وانزعاجه من المشكلة، إلى أن يفكر فيها بعمق، وفي أوقات لم يعتد الناس على التفكير فيها، ربما يكون في أثناء سيره في الشارع أو أثناء ركوبه وسيلة مواصلات، أو عند استعداده للنوم، وهذا يعني أيضًا أن هذه الشخص قادر على التأمل والخيال، ولديه قدرة على ربط الأفكار بعضها البعض، فيستطيع أن يسقط فكرة نجحت في مجال ما على المشكلة الدعوية ، وكان من نتيجة هذه الأسلوب، أنه استطاع أن يحل المشكلة بأقل خسائر، أو في وقت أقل، أو بتكلفة أقل، أو استطاع أن يحقق مكاسب أفضل.

كما أن الفكرة الإبداعية لا بد أن لا تكون ضارة، أو تسبح في الفراغ، بمعنى أنها لا بد أن تكون قابلةً للتطبيق بمعايير معينة، وهذه المعايير قد تكون القيم الدينية أو الأعراف الاجتماعية أو قانون المؤسسة التي يعمل بها صاحب الفكرة، ومن ناحية أخرى تكون مقيدة بمعايير الزمن والتكلفة والمكسب والخسارة.

هذا يعني أن الإبداع لا بد له من قيود، وأنه ليس كما يحب أن يقول البعض بأن الإبداع ينبغي أن يكون مطلق الحرية بلا قيد أو شرط. مع الاعتراف بأن كلما زادت مساحة الحرية التي يتحرك فيها المبدع، كان قادرًا على الإبداع بصورة أكبر، وأنه كلما ضاقت هذه المساحة، شعر المبدع بالاختناق إلى أن تقتل لديه الرغبة في الإبداع.

ويستطيع أي داعية أن يكون مبدعًا، والشرط الوحيد في ذلك هو رغبته وإرادته، بعدها يستطيع أن يدخل عالم الإبداع بعد أن يتدرب على بعض المهارات ويكتسب بعض القناعات وهي:

1 الاعتقاد الجازم بأن (وفي الإمكان أفضل مما كان)، وأن الموجود مهما كان جميلاً، فإنه لا يخلو من عيوب، وأنه من الممكن جدًّا أن نطلق أفكارًا جديدة، من شأنها أن تعالج العيوب وتزيد المزايا.

2 الجرأة على نقد الواقع وعدم الاستسلام له بما يحويه من مشاكل، وتحليله واكتشاف الأخطاء والسلبيات.

3 القدرة على إيجاد حلول وبدائل كثيرة لحل المشكلة الواحدة.

4 الإصرار على الحل بمحاولات متكررة ومتنوعة ومستمرة، وتوقع الفشل في المحاولات الأولى، وعدم الاستسلام للإحباط سواء من تكرار الفشل أو من رد الفعل من حوله من أشخاص.

5 القراءة المستمرة واستخلاص الأفكار المفيدة من أي مجال وإسقاطها على الواقع الدعوي إذا كان ذلك مناسبًا.

6 التفكير المتواصل والقدرة على التأمل والخيال.

7 الإنصات لآراء الآخرين والتفكير فيها مهما كانت غريبة.

و لنا عودة إلى الموضوع بمزيد من التوضيح بحول الله.

الانهزامية وخطرها على الأمة

الانهزامِيةُ هي الشعور بالخسارة، واليأس في تَحقيق تقدُّم ولو قليلاً، حتَّى لو كان الواقع والدَّلائل تؤكِّد عكسَ ذلك، والانهزاميُّون هم من تملَّكتْهم الانهزاميَّة، فصاروا يفقدون الأملَ في أي شيء، فهذه الانهزاميَّة مرض خطير، ما أصابَ أمَّة إلا قضى عليْها، وأعادها إلى عصور الضَّعف والتخلُّف، ومنعها من تحقيق أي تقدم حقيقي ملموس، حتى وإن كانت تمتلك كافَّة المؤهَّلات الحقيقة، والكوادر البشريَّة القادرة على تَحقيق هذا التقدُّم.

وقد مرَّتْ مراحل وفتراتٌ حاول بعض الانهزاميين التَّرويج فيها لهذه الفِكْرة، فمثلاً نجِدُ أنَّ بني إسرائيل لِما أرسل الله لهم موسى رسولاً؛ لينقِذَهم من ظلم فرعون، اتَّهموا سيِّدَنا موسى بأنَّه كان سببًا في أذيَّتهم؛ فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم :"قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ × قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ" الأعراف128 :، 129, فهم ومع أنَّهم يعلمون أنَّ موسى – عليه السلام – نبي من عند الله، إلا أنَّ روحهم الانهزامية، التي ترفض التغيير، وتميل إلى الرِّضا بالواقع ،دفعتْهم إلى اتهامه عليه السلام بأنَّه كان سببًا آخَر لأذيَّتِهم.

وعندما قام التَّتار باجتِياح العالم الإسلامي، ودخول بغداد، وقتْل الخليفة العباسي – كان الجندي من التتار يسير في الشَّارع بلا سلاح، فيقابِل الرَّجُل المسلم، فيقول له: ابقَ مكانَك ولا تتحرَّك حتَّى آتيَ بسيف فأقتُلك، فيبقى المسلم كما هو حتَّى يقتله التتري.

ومنها في تاريخِنا المعاصر: ما أشاعه البعضُ بعد حرب 1967 من أنَّ الجيش الصِّهْيوني جيشٌ لا يُقْهر، مع أنَّ الجيش المصري حطَّم تلك الخُرافة في حرب السَّادس من أكتوبر 1973.

إنَّ الشعور باليَأس في تَحقيق التقدُّم والإنْجاز يُصيبُ الإنسان والمجتمع بالإحْباط؛ ومن ثَمَّ يدفعُه إلى البحث عن حلولٍ يُسمِّيها حلولاً وسطًا؛ من أجل تَحقيق إنجاز – من وجهة نظره – أو الرضا بالواقع الحالي، حتَّى وإن كان مرًّا، ومن هذه المبرِّرات: "هذا ما نستطيع عمله، ليس بالإمكان أكثر ممَّا كان"، مبررات وحجج كثيرة واهية.

تجد هذه الرُّوح الانهزامية لدى كثير من الذين يسيرون في فلك أعدائهم، ولدى الكثير ممَّن يسمُّون أنفسَهم المحللين السياسيِّين والخُبراء الاستراتيجيين، الذين يتفنَّنون في إيجاد طرُق كثيرة؛ لتُصيب النَّاس والأمَّة كلَّها باليأس والإحباط.

فمثلاً عندما يتحدَّثون عن القضية الفلسطينية يقولون: إنَّه لا يُمْكِن بأي حال من الأحْوال تحقيق نصر على الجيش الصهيوني، ولابدَّ للفلسطينيِّين من إلْقاء السلاح والتفاوُض، في حين أنَّك لو سألتَهُم عن منجزات التفاوُض ومُنْجزات المقاومة، يتلعْثمون ولا يجدون إجابةً حقيقيَّة سوى قلْب الحقائق؛ لأنَّ الحقائق على الأرض تقول: إنَّ جيش الاحتِلال عاجزٌ بكلِّ المقاييس عن إلْحاق هزيمة حقيقيَّة بالشعب الفلسطيني.

إنَّ هذه الانهزاميَّة لها أخطار كثيرة، تُصيب الفرد والمجتمع والأمَّة بأكملها منها:

– إشاعة حالة من اليأس والإحباط من تَحقيق أي تقدُّم، فهؤلاء الانهزاميون تجدُهم دائمًا يتحدَّثون عن الواقع السيِّئ، وعن العجْز الذي نعيشُه، وأنَّ غيرَنا حقق ما يُريد، فلو أنَّنا كنَّا نقدر على فعل شيءٍ لفعلْناه، وإذا كانت هُناك بعض النِّقاط الإيجابيَّة أو بعض الإنْجازات والنَّجاحات التي تحقَّقت، فيعمدون إلى إخفائِها وتشويهها والادِّعاء بأنَّها محض صدفة.

– الرِّضَا بالواقع وإن كان مؤلِمًا مرًّا، وبالتالي عدم حدوث أي تغيير، بل يعمدون إلى محاربة أي مُحاولة للتقدُّم والتغيير؛ بحجَّة أنَّ هذا سيجلب لَهُم الكثيرَ من المتاعِب، والادِّعاء بأنَّ الحال هكذا أفضل.

إنَّ هذه الروح الانهزاميَّة تدفع الناس بسبب اليأس الذي تملَّكهم إلى التنازُل عن حقوقِهم؛ بحجَّة أنَّه لا يمكن استرْجاعها، فهم ليسوا قادرين على ذلك، وبالتالي فعليهم الرِّضا بما يُرْمى لهم، فهو أفضل من اللاشيء.

إنَّ علينا أن نُحارب هذه الرُّوح الانهزاميَّة وهؤلاء الانهزاميِّين أيْنما وجدوا، وأن ننشُر في المقابل روحَ الأمل؛ لأنَّنا نعلم أنَّ الخير لأمَّتنا، وأنَّ التَّمكين لديننا، وأنَّ الأرض لله يورِثُها من يشاء من عباده، فلا رادَّ لقضائِه ولا معقب لحُكمه.

مؤهلات الاصطِفاء

للمصطفين الأخيار مؤهلات تمكنهم من القيام بدورهم وأداء رسالتهم، وهذه المؤهلات حددتها الآيتان الكريمتان :"وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ" الأنبياء73 :، وقال "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" السجدة.24 :

فإمام الخير لا بد أن يجتمع فيه خمس خصال، وهي:

1- **يهدي بأمر الله:**

فالركيزة الأساسية في التأهيل إلى الإمامة في الدين هي العلم بالشرع الذي يدعو إليه، وعلى ضوء العلم يتم العمل والدعوة، والنبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة الأولى للداعية إلى الله في تكوين نفسه وأداء واجبه.

ولكي يكون الداعية إماما في الخير لا بد أن يقتفيَ أثر قدوته صلى الله عليه وسلم، يقول ابن قيم الجوزية: "والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزله إليه من ربه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهؤلاء المُبلِّغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له".

–2– **يصبر على ما أصابه في ذلك:**

أئمةُ الخير وقادةُ الركب أصحابُ الرسالة السامية لهداية البشرية لا بد أنهم سيجدون من العنت والمشقة في الطريق ما تعجز عن حَمْله الجبال الرواسي، ولكن إذا استعانوا بالله تعالى وتقرَّبوا إليه بذكره سهُل عليهم كلُّ صعب، ولانت أمامهم الشدائد.

وقد قام صلى الله عليه وسلم بالدعوة، وتحمَّل عنت قريش وعداوتهم، وكان يصيبه من ذلك الأذى الكثير، ويضيق صدره باستهزائهم فينزل عليه:وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ". الحجر:98 –97

وقد جاء وصف دعاة الحق أتباع الرسل في كتاب الله تعالى بهذه الصفة العظيمة، وهي صفة الصبر والاحتمال، في قوله تعالى :"وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ" آل عمران:146

3 – **يوقن بالله تعالى وبوعده:**

إن اليقين لأئمة الخير أمر لازم؛ فهو الزاد النفسي، والقوة الروحية التي تُعين على مواصلة الطريق؛ فأعظم قوة لاقتحام عقبات النفس وإكراهات الواقع هي قوة الإيمان. وعندما يستقر الإيمان في القلب ويصدقه العمل الصالح بالجوارح تتشكَّل قوة اليقين التي لا تُهزم، وإذا أشرق نور اليقين في القلب ذهبت الحيرة وزالت المخاوف واطمأن القلب ونشطت الأعضاء للطاعة؛ فأهل اليقين في فرح دائم بالله، وهم جبال في التوكل؛ لا يأكلون بدينهم ولا يطلبون فيما أيدي الناس، تهون عليهم مَصَائِبُ الدنيا، ويحقرون ما يعظِّمه الغافلون، ويفضِّلون ما يدوم على ما يزول، فيحيَوْن موقنين ويموتون موقنين مطمئني القلب.

إن اليقين الحق يظهر في المواقف وعند الشدائد ، فصاحب اليقين حينما تحيط به الخُطوب من كل جانب ، يقف كالطود الأشم قائلاً "كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي" الشعراء: من الآية 62.

واليقين طريق النصر.. ألم يَقُل من سبق من علمائنا: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

–4– **يفعل الخيرات:**

إن المصطفينَ الأخيار للخيرات فاعلون.. الخيرات بكل ما تحمله الكلمة من دلالات، وكيف لا يكون فعل الخيرات شعارنا وقد أمرنا الله بذلك فقال "وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" الحج: من الآية 77, وكان حبيبنا صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم إني أسالك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بين عبادك فتنةً فاقبضي إليك وأنا غير مفتون".

–5– **يُحَقِّقُ العبودية:**

إن الغاية من دعوة الرسل جميعًا لأقوامهم هي العبودية "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" النحل: من الآية 36, وقد قال الله تعالى لنبينا عليه السلام"وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ"الحج:99 ، فكان عليه الصلاة والسلام قمة المثال الذي يُقتدَى به في تحقيق العبودية، فوصل إلى أعلى مراتبها وأسمى منازلها.

وإن صاحب الرسالة عابد خاضع مستسلم بكليته؛ بقلبه وجوارحه وعواطفه، لأمر ربه ولأقداره سبحانه .

فلا يمكن لدعوتنا المباركة أن تحقِّق أهدافها وتصل إلى مبتغاها، تربيةً وبناءً، وانتصارًا واستمرارًا إلا إذا تخلَّق دعاتها، أئمة الهدى، بالصبر واليقين بالله وبآياته وبنصره، وعمِلوا بأمر الله، وهدوا بهديه، فعملوا الخيرات وحقَّقوا العبودية له سبحانه.

إعداد: ت . رضوان

مفاتيح الأمل

ليس هناك سلاح مهما كان فتّاكاً يمكن أن يطفي جذوة الأمل في نفوسنا، فظلام العالم كله لا يستطيع أن يقف بوجه شمعة واحدة ليطفئها.

■ يتآمر إخوته على إلقائه في البئر.. ويدّعون أنّ الذئب قد أكله.. ويأتون بقميصه المدمّى ـ وهم يبكون ـ ليوهموا أباه أنّه قد مات.

ذلك هو يوسف عليه السلام.. وأولاء هم إخوته.. لكنّ الأب يعقوب بقي يعيش الثقة برحمة الله، وأنه سيجمعه به ذات يوم حتى ولو كان بعيداً.

ويقترع القوم على إلقاء أحدهم في البحر، فتقع القرعة على يونس عليه السلام فيلتقمه الحوت.. وهذا يعني النهاية المحتومة.. لكنّ يونس عليه السلام يلبث في بطن الحوت مسبّحاً، متطلعاً إلى رحمة الله.

ويدعو نوح عليه السلام قومه، وهم لايرحّبون بدعوته، بل يقفون منها موقفاً سلبياً معانداً ورافضاً.. يشيحون بوجوههم عنه.. ويغلقون نوافذ أسماعهم عن كلماته، ورغم أنّه لم يدخر وسعاً في دعوتهم إلى الخير والصلاح ليلاً ونهاراً، لكنّ المستجيبين لدعوته لم يكونوا سوى نفر قليل. ومع ذلك فإنّه بقي (950) سنة يمارس دعوته إلى الله، وقومه جفاة معرضون عنه، كان كمن يزرع في أرض سبخة!

وتجتمع قريش على حرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم محاربة نفسية وبدنية لثنيه عن دعوته، فلا يدعون أذىً إلاّ ويلحقونه به حتى قال: "ما أوذي نبيّ مثلما أوذيت".

لقد رموه بأمعاء البعير وفضلات الحيوانات والرماد، وأغروا صبيانهم به فرجموه بالحجارة وألقوا الشوك في طريقه.. وتأتي ابنته فاطمة لتزيح ذلك عنه وتطبّب جراحه وكلّها ألم وشفقة وتساؤل عن نصر الله، فيرى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في عينيها حزنها عليه.. فيبتسم لها بثقة المطمئن ويقول: "إنّ الله ناصرٌ أباك"!

ويُهزمُ قائدٌ في معركة.. فينتبذُ مكاناً قصيّاً.. وفيما هو مهمومٌ مغموم منشغل بالتفكير في الانسحاب من المعركة, يرى نملة تحملُ قشرة حبّة شعير.. فيسقط عن ظهرها، وتعود لتحمله.. ويسقط وتعاود الكرّة.. وهكذا مراراً حتى أوصلته إلى مسكنها.. فبعثت تلك اللقطة في نفسه المنكمشة حرارة جديدة، فاندفع ليقاتل ببسالة.

ويفشل طالب في هضم دروسه واستيعابها، فيخرج إلى أحضان الطبيعة يطارحها همومه.. وبينما هو جالس بالقرب من صخرة، لفتت نظره قطرات من الماء تتساقط على تلك الصخرة قطرة فقطرة.. وإذا بموضع سقوط القطرات محفور.. فتساءل في نفسه: إذا كانت قطرة الماء تفعل هذا في الصخر، فما بال ذهني الذي هو ليس بصخر.. لم لا يفهم العلم ويستوعبه؟! وعاد أدراجه مصمّماً على أن يركّز جهوده أكثر فأكثر على طلب العلم واستيعابه أنّى كانت درجة صعوبته. فكان له ما أراد.. وإذا بالأيام تسلس له قيادها، فيصبح عالماً مشهوراً.(1)

إنّ يعقوب عليه السلام في المثال الأوّل، وهو يعيش حقيقة الإيمان لم ييأس من فقد ولده يوسف عليه السلام. ولم يفقد الثقة بالله بفقده، بل بقي متعلقاً بحبال الأمل حتى آخر لحظة، وذلك عندما دعا أولاده أن يذهبوا فيتحسسوا من يوسف وأخيه الذي اختفى هو الآخر عن أنظاره.

لقد حثهم على البحث عن المفقودَين من خلال الإيمان برحمة الله ولطفه "يا بَنيّ اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنّه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون".(2) فرغم انعدام مؤشرات الأمل الظاهرية، لكنّ غرسة الرجاء في قلب يعقوب لم تمت، فلقد بقيت خضراء يانعة يسقيها بالثقة برحمة الله التي تدرك العبد في أحرج الأوقات وأصعبها.

وفي المثال الثاني، فإنّ بطن الحوت ظلمة، وأعماق البحر ظلمة، والشعور أنها النهاية ظُلمة.. فهي ظلمات بعضها فوق بعض.. لكنّ يونس عليه السلام يتلمّس خيوط النور في خضم تلك الظلمة، فلا يزايله شعور أنّ رحمة الله التي وسعت كلّ شيء، والموجودة في كلّ مكان في بطن الأرض أو بطن الحوت، ستدركه لا محالة.. فراح يسبّح الله ويذكره حتى فتح الله له باب الأمل ليلقيه الحوت على ساحل البحر سالماً معافى من كلّ سوء أو أذى.

وأمّا في قصّة نوح عليه السلام، فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه فيها هو: ما الذي جعل هذا النبيّ يتحمّل كلّ هذا الصبر والعناء والجفاء طوال هذه المدّة القياسية؟ ما الذي يغري مزارعاً بأرض بور سبخة لا تنبت زرعا ولا مرعى؟ ما الذي يجعله يواصل زراعتها وسقايتها ورعايتها وهي عاقر لا تنجب، وجامدة لا تتحرّك؟!

ليس سوى أمله في أنّها قد تخصب ذات يوم.

ورغم الأذى الذي لقيه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنه كان يرى من بين ركام الدم وفضلات الأحشاء ووخزات الشوك وذرّ الرماد نوراً يخطف الأبصار، مثلما أنه كان يرى شرارات ذلك النور تتصاعد من الصخور التي تتفتت تحت ضربات معاول أصحابه الذين كانوا يحفرون الخندق في المعركة التي حملت هذا الاسم، وكان يقول لهم: إنّي أرى قصور كسرى وقيصر تتهاوى!

لم يكن يعلّق بصره على اللحظة الراهنة، وهي قد لا توحي إلاّ بالمرارة والألم.. كان يرميه بعيداً خارج دائرة تلك اللحظة "إنّ الله ناصرٌ أباك". ويوم جاء نصرُ الله والفتح، ورأينا الناس يدخلون في دين الله أفواجا، عرفنا كم كان أمل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمستقبل دعوته عظيما؟

ولو سلّم ذلك الطالب الثقيل الفهم بصعوبات الدرس والدراسة لبقي يراوح مكانه، بل وربّما تراجع إلى الخلف، لكنّ قطرة الماء التي تركت في الصخرة أثراً علّمته أنّ الأثر المحفور لم يأتِ من محاولة واحدة، بل من عدّة محاولات، الأمر الذي غرس في داخله شعوراً بالأمل راح يضيء طريقه حتى بلغ أعلى الدرجات.

يقول أحد الرياضيين: إنّي أحاول أن أفوز بالمباراة، وأن أكون الأوّل بين المتنافسين، لكنني إذا لم أحقّق ذلك، فعلى الأقل أكون قد ربحت المحاولة!

وعلى مستوى الشعوب، فلو أنّ اليابان التي حوّلتها الحرب العالمية الثانية إلى أنقاض وحطام، بقيت تحت حطامها، تلعن الذين أوصلوها إلى الحضيض، هل كانت حظيت بالسّمعة التي أطبقت الآفاق؟

إنّ شيئاً واحداً يمكن أن يقضي على آمالنا فلا تعود تتحرّك في محاولة جديدة، إنّه "الموت".

وما عدا ذلك، فليس هناك سلاح مهما كان فتّاكاً يمكن أن يطفئ جذوة الأمل في نفوسنا، فظلام العالم كلّه لا يستطيع أن يقف بوجه شمعة واحدة ليطفئها.

ما هو الأمل؟

في معاجم اللّغة: الأمل هو الرجاء، وأكثر استعماله فيما يُستبعد حصوله، وأمّله: رجاه وترقّبه.

وعلى العكس من الأمل، اليأس، فيئس منه يعني انقطع أمله، وانتفى طمعه فيه فهو يائس.

وقد ميّز الإمام جعفر الصادق بين "الآمال" وبين "الأماني" فقد قيل له: »قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: "هؤلاء قوم يترجّحون في الأماني، كذبوا.. ليسوا براجين، إن مَن رجا شيئاً طلبه ومَن خاف من شيء هرب منه".

(1) ذلك هو العالم الفقيه السكّاكي.
(2) يوسف.87

اختر لنفسك أفضل القيم

رفع المحاضر في إحدى المحاضرات ورقة نقود من صنف 1000 دينار، وقال بصوت مرتفع: من يريد هذه الورقة ؟ فرفع معظم الموجودين أيديهم،فقال المحاضر: سوف أعطيها لواحد منكم لكن بعد ما أفعل هذا،وقام بكرمشة الورقة، ومن ثم سألهم: من يريدها ، فلاحظ أن نفس الأيدي قد ارتفعت.

فقال: حسنا، ماذا لو فعلت هذا. و قام برمي ورقة النقود على الأرض ثم دعسها بحذائه ،و من ثم رفعها وهي متسخة ومليئة بالتراب، وسألهم مرة أخرى : من منكم مازال يريدها، فارتفعت الأيدي مرة ثالثة.

فقال حينها : الآن يجب أن تكونوا قد تعلمتم من خلال هذه التجربة درسا قيما عليكم أن تجعلوه نصب أعينكم :

فمهما فعلت بالنقود فإنكم ظللتم تريدونها، لأنها لم تنقص في قيمتها، فهي بقيت ورقة الألف دينار.

في مرات عديدة من حياتنا نسقط على الأرض، وننكمش على أنفسنا ونتراجع بسبب القرارات التي اتخذناها، أو بسبب الظروف التي تحيط بنا ، فنشعر حينها بأنه لا قيمة لنا، لكن العبرة من هذه القصة تهمس في أذنك أنه مهما حصل فأنت لا تفقد قيمتك، لأنك شخص مميز..فأنت من أسجد الله له ملائكته ..أنت من خلق في أحسن تقويم .. حاول أن لا تنسى ذلك أبدا، ولا تدع خيبات آمال الأمس تلقي بظلالها على أحلام الغد.

مقولات في النجاح

■ إن أعظم اكتشاف لجيلي ، هو أن الإنسان يمكن أن يغير حياته، إذا ما استطاع أن يغير اتجاهاته العقلية.

وليام جيمس

■ عندما أقوم ببناء فريق فإني أبحث دائما عن أناس يحبون الفوز، وإذا لم أعثر على أي منهم فإنني أبحث عن أناس يكرهون الهزيمة.

روس بروت

■ إنسان بدون هدف كسفينة بدون دفة كلاهما سوف ينتهي به الأمر على الصخور

توماس كارليل

■ إن قضاء سبع ساعات في التخطيط بأفكار وأهداف واضحة لهو أحسن وأفضل نتيجة من قضاء سبعة أيام بدون توجيه أو هدف.

■ البحث يعلم الإنسان الاعتراف بخطئه والافتخار بهذه الحقيقة أكثر من أن يحاول بكل قوته الدفاع عن شيء غير منطقي خوفا من الاعتراف بالضعف بينما الاعتراف علامة القوة

■ لا يقاس النجاح بالموقع الذي يتبوأه المرء في حياته .. بقدر ما يقاس بالصعاب التي يتغلب عليها.

■ نحن نسقط لكي ننهض... ونهزم في المعارك لنحرر نصراً أروع.. تماما كما ننام لكي نصحوا أكثر قوة ونشاطاً.



"فلسطينا"..
لاسترجاع مجد "فتح"

إعداد سمير رمضان

■ تعتزم حركة "فتح" الفلسطينية إطلاق قناة فضائية تابعة لها و كلفت بذلك سفير فلسطين في القاهرة "نبيل عمرو" بمهمة متابعة خطوات إنشاء القناة، وجاءت هذه الفكرة – حسب مصادر إعلامية – عقب الحملة الإعلامية التي تعرضت لها الحركة جراء مواقفها مما يجري في الأراضي الفلسطينية المحتلة وخصوصا مواقفها الأخيرة من العدوان الصهيوني على قطاع غزة ، واستئثار حركة احماسب بالأضواء الإعلامية وترتبها على مختلف المنابر الإعلامية في ظل التسابق والتنافس على الظفر بلقاء أو حوار مع أحد قيادتها وكذلك الأضواء المسلطة على القناة التابعة لـ "حماس" متمثلة في قناة الأقصى التي صارت في ظرف وجيز مصدر خبر مهم لمختلف الأحداث وآثار العدوان على غزة من خلال نقلها الحي للأحداث والوقائع ووقوفها بجانب المقاومة الفلسطينية

وذكر المصدر أن القناة ستسمى افلسطينناب تيمنا بأول مجلة دورية أصدرتها الحركة عام 1958 م .

وعلى الرغم من أن السلطة الفلسطينية تملك قناة "فلسطين" إلا أن مسؤولي افتحب أصروا على أن تكون افلسطينناب خالصة لهم في ظل التداول على السلطة ولا يريدون المجازفة بالأموال في قناة عمومية.



وجاءت هذه الخطوة كمحاولة لاسترجاع نوع من هيبة "فتح" في ظل التنامي المتزايد لشعبية "حماس" وطفرتها النوعية بإطلاق "الأقصي".

واتهام فتح لفضائيات أخرى بأنها تدين بالولاء لحماس بما في ذلك بعض القنوات الدينية وبهذا يكون السجال بين فتح وحماس قد شن مرحلة إعلام الفضاء بعد السجال السجال السياسي والعسكري والجغرافي في انتظار حل ينهي هذا الانقسام ويوجه الجهود لتحرير الأرض المحتلة.

بين "عباس" و "الجزيرة"
... مصارحة بغير مصالحة



ذكرت صحيفة "القدس العربي" الصادرة في لندن أن الرئيس الفلسطيني محمود عباس عقد جلسة مع مسؤولي قناة الجزيرة الفضائية بترتيب من رئيس دائرة المفاوضات صائب عريقات بعد نزوله ضيفا على القناة أثناء الزيارة التي قادت اأبو مازنب إلى قطر في إطار مشاوراته وتحركاته لما يجري في الساحة الفلسطينية، واقترح اللقاء بغرض "المصالحة" والمصارحة بين الجانبين بعد عامين من البرودة بين القناة والسلطة الفلسطينية في رام الله بسبب اتهام أبو مازن للجزيرة بميلها وانحيازها لحركة حماس ووصفها الجزيرة الفتنة ومنعها من دخول مقره في رام الله.

وقد ذكرت الصحيفة أن اللقاء تم لكن دون أن يسفر عن إذابة الجليد بين الطرفين بحضور مدير عام القناة وضاح خنفر وظهر عباس عابسا طول لقائه بمسؤولي الجزيرة واتهمهم بالوقوف في صف احماسب والانحياز للإخوان المسلمين مع اعترافه بأن القناة بذلت جهدا كبيرا أثناء عدوان إسرائيل الأخير على قطاع غزة ولام عليها عدم الحديث عن الانتهاكات التي تقوم بها احماسب في حق مناضلي فتح وإضفاء الشرعية على حكومة حماس في غزة.

وفي ردهم على كلام اعباسب تطرق صحفيو الجزيرة إلى جملة من الوقائع وهي أن القناة بثت وخلال العدوان على غزة 59 تدخلا ومقابلة لمسؤولين من فتح كما تحدثت عن وضعية حقوق الإنسان في قطاع اغزةب مما جعل رئيس تحرير القناة أحمد الشيخ يقول لـ "عباس" أنت لا تشاهد الجزيرة ليرد عباس أنه فعلا لا يشاهدها في حين التزم الصمت لما سُئل عن غيابه في قمة الدوحة في وقت كان يجب عليه الحضور وتسجيل موقفه على عكس الرئيس الراحل "عرفات " الذي لم يفوت أي لقاء يدرس القضية الفلسطينية .

وعن لقائه بقادة حماس اكتفى بالإشارة إلى أنه يرسل إليهم مبعوثه اعريقاتا كلما اقتضى الأمر.

ورفض عباس في ختام اللقاء إعطاء القاء خاص للجزيرة أو أي وعد بفتح مكتبها في رام الله.

وأين النصارى!

عرضت "القناة العاشرة" الإسرائيلية مقاطع فيديو تسيء إلى سيدنا عيسى عليه السلام و تسيء إلى سيدتنا مريم عليها السلام على خلفية تنكر شخصيات مسيحية للمحرقة النازية لليهود – على حد زعمهم – حسب مقدم البرنامج كما وعد بتقديم حلقات أخرى في نفس السياق بأسلوب بذيء وساخر واتهامات وقحة للسيدة مريم وعيسى عليهما السلام ، وتأتي هذه الحملة على الرغم من تزلف البابا لليهود واعتباره إنكار المحرقة بمثابة الجريمة في حق الرب وتأكيده لمحاربة الكنيسة لمعاداة السامية في لعالم.

ولم تكن هذه الواقعة الوحيدة التي يسخر فيها يهود من الأنبياء فقد صوروا من قبل مسرحية قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في أسلوب قذر لا يليق بالبشر ناهيك عن الأنبياء وسخروا من يعقوب وداوود عليهما السلام ... ولا عجب من هذه الجرأة داخل مجتمع كان إلى وقت قريب من أشد المجتمعات محافظة وتقديسا لليهودية وأنبياء بني إسرائيل في ظل الفساد والانحلال الخلقي الذي يسود رجال الدين اليهود وتورطهم في فضائح أخلاقية حيث أدين العديد من الحاخامات في جرائم اغتصاب مما جرأ العلمانيين على النيل من المقدسات والديانات رغم أنف الحاخامات .

وللإشارة فقد خلفت هذه الحادثة موجة استنكار مسيحية وإسلامية وعبر العالم ولو أنها لم تكن بحجم ردة الفعل على الرسوم المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بالرغم من أن الإسلام يحض على الإيمان لجميع الأنبياء والمرسلين وتقديرهم واحترامهم كما قال تعالى:"كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد رسله".

تنشر لأول مرة باللغة العربية

الحلقة الثامنة عشر

مذكرات البحار المجاهد خير الدين بربروس

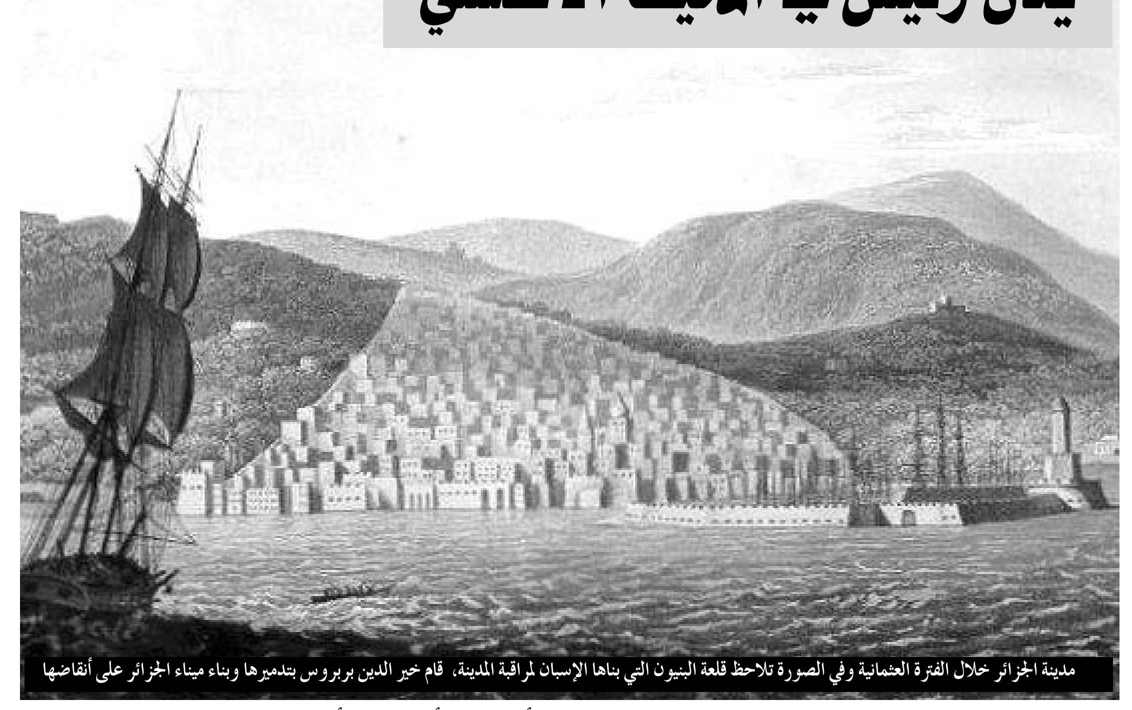
ترجمها عن التركية:
الدكتورمحمد دراج

■ تعد شخصية المجاهد خير الدين بربروس شخصية أسطورية بكل المقاييس، فقد تحولت حياته إلى نوع من الأسطورة التي تتجاوز الواقع لتحلق في ما ينسجه الذهن من صور متناقضة من البطولة أو الإرهاب بلغة هذه الأيام. إن مجرد ذكر اسم هذا المجاهد البطل حتى تمتزج الأسطورة الخارقة والخيال الجامح بالحقائق التاريخية فهو عند المسلمين محقق نصر المستضعفين في العديد من الدول خاصة في سواحل شمال افريقيا وجنوب اوروبا وهو بالنسبة للأوروبيين قرصان مارد تكبدوا على يديه خسائر فادحة في الأرواح والثروات.

الكتاب الذي نقوم بترجمته عن اللغة التركية ونشره في حلقات عبر جريدة "المحرر"، عبارة عن مذكرات أملاها البحار التركي خير الدين بن يعقوب باشا الشهير بلقب "بربروس" على زميله البحار الأديب الشاعر "سيد علي المرادي" بناء على طلب من السلطان العثماني الكبير سليمان القانوني.



يدن رئيس في المحيط الأطلسي



مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية وفي الصورة تلاحظ قلعة البنيون التي بناها الإسبان لمراقبة المدينة، قام خير الدين بربروس بتدميرها وبناء ميناء الجزائر على أنقاضها

■ كنت أريد أسر أندريا دوريا، ولتحقيق ذلك جعلت آيدن رئيس على رأس أسطول كبير وأمرته بتعقب أثر دوريا. فخرج آيدن بأسطوله حتى بلغ سبتة وتوغل في سواحل العدو حتى بلغ جبل طارق. ومن هناك عبره إلى المحيط الأطلسي إلا أنه لم يقف على أثر للعدو.

وعلى أثر ذلك قفل راجعا إلى الجزائر، فأغار في أثناء عودته على جزر البليار وقصف جزيرة ميورقة والسواحل الإسبانية المطلة على البحر المتوسط. فتمكن بهذه الحملات من أسر 3000 كافر حملهم جميعا في سفنه. وتوغل في أرض العدو حتى كان على مقربة من ميناء برشلونة.

وعلى مسافة قريبة من برشلونة كان يوجد دير كبير تعوّد ملوك إسبانيا على زيارته في كل سنة، فقام آيدن رئيس بالإغارة على هذا الدير وأسر 80 راهبا واستولى على 36 صندوقا من خزائن الدير. لقد كانت القناديل الفضية التي استولى عليها وحدها تحوي على 25 وزنا[1] من الفضة.

كان هذا الهجوم يمثل ضربة قاضية لكبرياء الملك كارلوس أرغمنا به أنفه في التراب. فقد بلغ عدد السفن التي استولى عليها آيدن رئيس في هذه الغارة 55 قطعة ما بين سفينة كبيرة وأخرى صغيرة، قام بسحبها جميعا ودخل بها ميناء الجزائر. وبهذه الهجمات المظفرة نكون قد أعطينا الجواب اللائق لدوريا على غارته التي شنها على شرشال.

صارت مدينة الجزائر بهذه الغنائم نموذجا يضاهي أسواق بلاد الهند في رخصها. إذ كان التجار يشترون تلك البضائع بدرهم من الجزائر ويبيعونه بعشرة دراهم حتى أثروا من ذلك ثراء فاحشا.

بلغ عدد الأسرى المحبوسين في الزنازين 16 ألف أسير عدا الذين تم تكليفهم بالجذف في السفن أو الذين تم تخصيصهم للخدمة في البيوت.

من هؤلاء الأسرى اخترت 500 من أحسن الجذافين وقررت إرسالهم للعمل في الأسطول العثماني بإسطنبول. وندبت لهذه المهمة آيدن رئيس الذي قام بنقلهم في 15 سفينة من نوع قادرغة أبحر بها إلى إسطنبول.

وصل آيدن رئيس إلى إسطنبول في اليوم السابع والعشرين من خروجه من الجزائر، ومثل بين يدي سلطان الدنيا سليمان خان الذي تكرم بقراءة رسالتي بنفسه.

قام آيدن رئيس بزيارة الوزراء وغيرهم من أركان الدولة وسلم لهم جميعا الهدايا التي بعثتها إليهم. فحظي منهم بتقدير وإكرام كبيرين. أما السلطان سليمان خان القانوني فإنه قد طلب آيدن رئيس مرة أخرى للمثول بين يديه وخاطبه قائلا:

"اسمع أيها الرئيس، لقد وقعت جميع الأعمال التي قام بها بايلرباي الجزائر خير الدين مني موقع القبول. لأجل ذلك سوف أمنحك الآن 5 قطع بحرية من نوع قادرغة تقوم بتسليمها إليه، كما أمرت قبطان باشا[2] أن يزودكم بكل ما تحتاجون إليه من قذائف وآلات الحرب وغير ذلك من التجهيزات. خصوصا قذائف المدافع البحرية خذ منها ما تقدر على حمله في سفنكم. وسوف أرسل معكم عددا من مهندسي المدافع يكونون في خدمتكم. يجب أن يكون أسطولنا في الجزائر في غاية القوة وفي منتهى الجاهزية للقتال. فقد بلغني أن الملك كارلوس يحمل نوايا في غاية الخبث نحو الجزائر. فحذار أن تغفلوا عن أخذ التدابير اللازمة أو تغفلوا عما يدبره لكم هناك".

وصل أيدين رئيس إلى الجزائر في اليوم الحادي والأربعين من مغادرته لإسطنبول. فقد انطلق بـ15 سفينة من نوع قادرغة، منها 5 قطع كان هدية من السلطان سليمان خان. كما استولى في طريق عودته على 7 سفن أغار بها جميعا على عدد من مدن الكفار فتمكن خلال غزواته تلك من أسر 700 أسير.

سلم لي آيدن رئيس كتاب السلطان مختوما بختم آل عثمان الأبيض. فقمت بتقبيل العلبة التي كانت تحفظ فيها الرسالة ثلاثة مرات ووضعتها على رأسي تعبيرا عن تعظيمي للسلطان، ثم أخرجت منها الرسالة وقرأتها بعناية كبيرة حتى حفظت أوامر مولانا السلطان عن ظهر قلب. ولما فرغت من ذلك أخذت من آيدن رئيس هدايا مولانا السلطان التي كانت عبارة عن خلعة سلطانية مصنوعة من الفرو الثمين وساعة ذهبية وسيفا مرصعا بالجواهر بالإضافة إلى الراية العثمانية.

في هذه الأثناء كان الملك كارلوس في غاية الانشغال عنا. فقد أرسل إليه أخوه الملك فرناندو من فيينا يطلب المدد. في هذا الوقت كان فيه مولانا السلطان سليمان خان يؤكد على غزاة الحدود في المجر أن لا يدعوا الملك فرناندو يلتقط أنفاسه بمتابعة الغزو لبلاده.

أدرك الملك كارلوس بأنه لا قبل له بمواجهتنا، فقام بتحريض ملك تلمسان على الثورة علينا مرسلا إليه أموالا كثيرة واعدا إياه بجعله سلطانا على الجزائر. وبما أن هذا السلطان كان يعتبر نفسه الملك الشرعي فقد كان هو الآخر يوزع وعوده على من يحيطون به.

أما الملك كارلوس فإنه أدرك من خلال تجاربه الكثيرة أن البلاد التي لم يتمكن من احتلالها أو إخضاعها لنفوذه فإن أقصر طريق للاستيلاء عليها هو أن يغدق الأموال على من يلوذ به من الحلفاء والطامعين من الزعماء والملوك الصغار.

صدق سلطان تلمسان هذه الوعود وأعلن عصيانه. وعند ذلك أمرت دلي محمد رئيس بأن يخرج للغزو في البحر، بينما سرت أنا إلى تلمسان حتى هذه البلدة الواسعة التي كانت تقع على حدود مملكة فاس.

لم أجد سوى مقاومة صغيرة لاذ بعدها سلطان تلمسان بالفرار، وأرسل إلي بعد ذلك العلماء يطلب العفو. فقلت لهم: "سأعفو عنه عندما يجيء بنفسه معتذرا "

فجاء السلطان المتمرد ودفع إلي الخراج المتأخر والذي كان مقدرا بـ110000 : من الذهب، ثم جثا على ركبتيه وتشبث بقدمي !!

فقلت له: "دع عنك هذا أيها الكافر وجدد إيمانك.. لقد قمت بموالاة أكبر أعداء ديننا والخروج علي وأنت تعلم بأني أمثل خليفة المسلمين وسلطان الدنيا فسللت سيفك في وجهي"!!

أعلن سلطان تلمسان توبته بتلاوة الشهادتين وجدد دخوله في الإسلام كما أعاد العقد على زوجاته اللاتي كان قد فسد نكاحه لهن بسبب ارتداده عن الإسلام..

عندما كنت في تلمسان صادف دلي محمد رئيس بأسطوله المكون من 40 قطعة أسطولا إسبانيا مكونا من 35 سفينة من نوع قادرغة. وسرعان ما اشتبك معها في عرض البحر. وما إن حمي الوطيس حتى أعلنت 29 سفينة إسبانية استسلامها له؛ بينما لاذت الستة الباقية بالفرار.

ولما بلغ الانتصار الساحق الذي حققه الأتراك على أسطول الإسباني مسامع الملك الإسباني المقيم في برشلونة كاد يموت من الحنق، وهو الذي لم يكن يقدر على فتح فمه من القنوط الذي أصابه بعد هزيمته أمام السلطان سليمان خان في ألمانيا.

الحلقة القادمة: غزو إسبانيا للمرة الحادية والعشرين

1- في النسخة التركية ورد أن القناديل الفضية كانت تزن 25 قنطارا. وواضح أن القنطار كوحدة وزن لم تكن تحمل المعنى المتداول اليوم والتي تعادل 100كلغ. وبرجوعنا إلى القاموس التركي العثماني الكبير المعروف باسم: قاموس تركي لشمس الدين سامي - والذي يعد أكبر قاموس في اللغة التركية العثمانية - وجدنا أن لهذه الكلمة أكثر من معنى. والمناسب منها لسياق النص الذي نقوم بترجمته هو أن القنطار عبارة عن وحدة وزن كان تستعمل قديما وتعادل 44 أوقية من الفضة. ونحن آثرنا استعمال كلمة "وزن" حتى لا يتشتت ذهن القارئ عن الفكرة الرئيسية التي أراد خير الدين الوصول إليها، ولكي لا يفهم خطأ أن المؤلف يبالغ في تضخيم الغنائم لأنه لا يتصور وجود قنديل يزن 25 قنطارا في الواقع. ولمعرفة تفاصيل معنى كلمة قنطار في التركية العثمانية انظر: شمس الدين سامي، قاموس تركي مادة ق ن ط ، ص 1085.

2- المقصود به هنا قائد الأسطول العثماني والذي يدعى أيضا قبطان داريا


إشهار

كلمات متقاطعة

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
1							■			
2								■		
3		■		■	■				■	
4	■		■						■	
5										
6						■		■		
7										
8		■		■	■					■
9										
10	■						■			

أفقيا :

1 ـ وكالة ثقافية بالأزهر/ مدينة ومحافظة بالصعيد–2 . ـ عاصمتها بوخارست/ زهر أبيض. 3 ـ جارية–4 . ـ سرنا في الدهس) معكوسة–5 ـ كاهن فرعوني جنائزي–6 . ـ أنبأن (معكوسة)/ ضمير الغائب.– 7 ـ أديبة مصرية لها رواية غير مباح–8 ـ موضع مزايدة–9 ـ أحد أهم من نظر للمواطنة وحق الخصوصيات الثقافية المتنوعة.

عموديا

1 ـ سهد/ تسيب–2 . ـ للتمني/ رجل كريم أصيل(معكوسة)/ نهر بسويسرا (معكوسة)–3 ـ غلاف سيف/ جمع عبارة–4 . ـ للندبة/ أصابتنا دوخة (معكوسة)/ للنداء–5 . ـ دق/ ضـــد بارد(معكوسة)/ للشرط–6 . ـ يقنطن/ أنبنا وعتبنا–7 . ـ سكهما بالتزييف(معكوسة)–8 . ـ ردد الحمام صوته في حنجرته/ عاصمتها بوسخار ـ أولا–9 . ـ سخط/ تسالمه وتوادعه وتمتنع عن قتاله الي حين–10 . ـ ما يصلح لعلاج أمراض الكبد والكليتين/ اله.

هل تعلم

- هل تعلم لماذا يقول لك طبيب العيون إذا كان نظرك قوياً إن نظرك 6 على 6 و لا يقول إن نظرك 10 على 10 أو 100 على 100, والسبب في ذلك أن العين الصحيحة هي التي ترى بوضوح الأرقام والإشارات المستعملة لفحص قوة العين من على بعد ستة أمتار فالرقم في البسط يمثل قوة العين فمثلاً 4 على 6 يعني أن ما يراه الصحيح من بعد 6 أمتار تراه أنت على بعد 4 أمتار وهكذا.

أقوال وحكم

قال حكيم : طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها ، وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقرب من قرين السوء ، وغالبت الأقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ، ونظرت إلى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولا أكسر من الفقر.

أي الأشياء خير

قيل لأحد الحكماء: أي الأشياء خير للمرء

قال: عقل يعيش به

قيل: فإن لم يكن

قال: فإخوان يسترون عليه

قيل: فإن لم يكن

قال: فمال يتحبب به إلى الناس

قيل: فإن لم يكن

قال: فأدب يتحلى به

قيل: فإن لم يكن

قال: فصمت يسلم به

قيل: فإن لم يكن

قال: فموت يريح منه العباد والبلاد.

فكاهة ونكت

ابتســـم

سافر أحد الطلبة مع أهله بعد الامتحانات وقال لصديقه: انظر.. إذا طلعت النتيجة اتصل بي وأعلمني، إذا أنا رسبت في الرياضيات قل رياض يسلم عليك وإذا أنا رسبت في التاريخ قل خالد يسلم عليك، ومثل كل مادة باسم.. و يوم طلعت النتيجة اتصل الصديق بزميله المسافر وقال له:إن الحي كله يسلم عليك.

زعيم سياسي في بلد متخلّف، أقترح عليه أحد أفراد الحاشية اقتراحا فقال: لماذا لا نسعى إلى أن تستعمرنا دولة كبرى مثل أميركا فتقيم لنا المصانع والطرق والمطارات والمستشفيات ثم نطردهم فيما بعد؟ .... فأجاب الزعيم وكيف نجعلهم يأتون لاستعمارنا؟.. فرد عليه: لدينا طائرتين نرسلهما في غارة على أميركا، فتغضب أميركا وتأتي لاستعمارنا... !! فرد الزعيم: وإذا تمكنت الطائرتان من هزيمة أميركا... ماذا نفعل؟

الأنس بالوحدة

قال الشافعي رحمه الله:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
وليتنا لا نرى مما نرى أحدا
إن الكلاب لتهدأ في مواطنها
والناس ليس بهاد شرّهم أبدا
فاهرب بنفسك واستأنس بوحدتها
تبقى سعيدا اذا ما كنت منفردا

قال حذيفة بن اليمان: دخلت على عمر فرأيته مهموماً حزيناً، فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيماً لي. فقال حذيفة: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك؛ ففرح عمر وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقوّمونني إذا اعوججت.

هل تعلم؟

هل تعلم أن أول من شاب هو إبراهيم عليه السلام ؟

هل تعلم أن أول من ركب الخيل هو إسماعيل عليه السلام ؟

هل تعلم أن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو محمد صلى الله عليه وسلم؟

هل تعلم أن أول من سجد لآدم من الملائكة هو إسرافيل ؟

هل تعلم أن أول ما نزل من التوراة (بسم الله الرحمن الرحيم) ؟

هل تعلم أن أول صلاة فرضت على رسول الله صلاة الظهر ؟

حل الكلمات المتقاطعة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ا	ل	غ	و	ر	ى	■	ق	ن	ا
٢	ر	و	م	ا	ن	ى	ا	■	ف	ل
٣	ق	■	د	■	■	ا	م	هـ	■	ل
٤	■	ق	■	ا	ن	س	هـ	د	■	ى
٥	ت	ى	ع	ن	خ	ن	ف	ر	ت	م
٦	ن	ر	ب	خ	ا	■	ى	■	هـ	و
٧	س	ع	ا	د	س	ل	ى	م	ا	ن
٨	ا	■	ر	■	■	م	ز	ا	د	■
٩	ب	ر	ا	ك	ا	ن	ت	ر	ن	ر
١٠	■	ا	ت	ا	ن	ا	■	ك	هـ	ب



ورشات الجزائر

بقلم: تميم

أينما حللت، وحيثما كنت، وإلى أي مكان حملتك رجلاك بالجزائر، تجد ورشة مفتوحة، هذه إصلاح طرقات، وتلك قنوات صرف المياه، وهنالك مشروع بناء مركب سياحي وآخر سكنات اجتماعية.. وإلى ما هنالك من الورشات المفتوحة، التي لا تكاد تنتهي، وهذه الظاهرة ليست مقصورة على الجزائر العاصمة وحدها، وإنما هي عامة في الكثير من المدن.

فعندما يرى المرء هذه الورشات المفتوحة، يشعر أن هناك قفزة تعميرية، وخطوات إقلاع على الأبواب، ستنقل بلادنا إلى مصاف الدول المتقدمة.. ولكن عندما يلاحظ أن نسبة البطالة، رغم هذه الورشات التي من المفروض أنها تمتص اليد العاملة امتصاصا، لا تزال على حالها، وان أزمات السكن والمواصلات تزداد خنقا، وان القدرة على امتلاك سكن وإمكانية الحصول على وظيفة في تقلص، يشعر أن هذه الورشات المفتوحة لا تعبر عن حركية اقتصادية بقدر ما توحي بالعجز عن إتمام هذه المشاريع المبدوءة.

وإذا استثنينا قطاع الطرقات ومنه بشكل أساسي الطريق السيار شرق غرب، الذي يعد فعلا مفخرة للبلاد، لا نكاد نقف على مشروع يمكن اعتباره إضافة اقتصادية أو اجتماعية للبلاد..، وحتى سكنات وكالة عدل التي تعتبر إضافة هامة للمجتمع والتي لا يزال بعضها ورشات مفتوحة، فإن ما سلط على المستفيدين من "أثقال مالية" أفقدها طعمها، وحرم أهل هذه السكنات الفرحة والنشوة التي يشعر بها المستفيد.

إن آية كل إقلاع اجتماعي واقتصادي، لا تقف عند تعداد المشاريع والورشات المفتوحة، وإنما تتعداها إلى النظام الاقتصادي والاجتماعي العام. ومن أهم ركائز النظام الاقتصادي، الإصلاح الجبائي تشجيعا للإستثمار، أما ركائز النظام الاجتماعي فأهمها تثمين الجهد وتوجيه العمل.. وهذا لم يراع حق الرعاية أو تم التفكير فيه ولكن بمعزل عن باقي القطاعات، أي بحث في جانبه الإداري ولم ينزل إلى الواقع.

فالورشات المفتوحة هذه، منها ما هو معلق بسبب التمويل، وذلك يعني أن التقديرات لم تكن مدروسة من البداية، أو أسندت لجهات عاجزة عن التنفيذ فاستهلكت ما بين يديها وتنتظر المزيد، أو هي مشاريع غير قابلة للتنفيذ، فأقحمت في غير مكانها أو في غير زمانها، والنتيجة واحدة، ورشة مفتوحة إلى أن يشاء الله.

ليس العيب في أن هناك ورشات مفتوحة، وإنما العيب في بقاء هذه الورشات مفتوحة إلى ما لا نهاية له من الأيام والشهور والسنوات؛ لأن الجدية في مثل هذه الحال تقتضي تحديد يوم نهاية المشروع قبل بدايته، وإلا كان الفعل ارتجالا وما أكثر الارتجال في بلادنا !!

بدون تعليق

صورة هذه المرأة التقطتها عدسات الزميلة "النهار" في جوان 2008 بحي من الأحياء حاسي مسعود.





ماذا بقي من 24 فيفري؟

التهامي مجوري

يوم 24 فيفري في الجزائر يمثل ذكرى مزدوجة كما يقال، تأميم المحروقات وتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وهي ذكرى ذات علاقة وطيدة بعالمي الحركة الاجتماعية والشغل، وتحرير البلاد من الهيمنة الاستعمارية. وإذا كان اتحاد العمال أيام الثورة يقوم بدور سياسي تحرري في المحافل الدولية، فإن تاميم المحروقات يعد تتويجا لتلك الإرادة التحررية، التي عاشت بها البلاد خلال عقود الاستقلال

◆ فالمحروقات التي تمثل المورد الأساس للبلاد هي الآن، وبحكم التحولات الاقتصادية، التي يشهدها العالم، في إطار نظام العولمة الزاحف، محل جدل واسع بين الشركاء الاجتماعيين، بين البيع والتأجير.. أما عالم الشغل فتحكمه قيم أخرى ذات علاقة بثقافة المجتمع في تثمين قيمة العمل في ذاته.

من هذا المنطلق وجب التساؤل ماذا بقي من 24 فيفري؟

أممت المحروقات في السبعينيات لتكون ملكا عموميا، يستفيد منه جميع الشعب، بطرق مختلفة، بضمان التطبيب والتعليم المجانيين، وبإنشاء المصانع وتوفير مناصب العمل، وبالحفاظ على مستوى القدرة الشرائية، وبضمان حركية مالية واقتصادية متوازنة، كما كان استمرار وظيفة اتحاد العمال بعد الاستقلال لنفس الغاية والغرض الاجتماعيين، ولكن سوء التسيير والإفراط في التسييس لقضايا المجتمع واقتصادياته، الذي ربط كل شيء بتوجهات الحزب الآنية -أيام الحزب الواحد- وإرادة السلطة العاجلة، حجّم المردود الاجتماعي وحرفه عن مساره الصحيح.. فتضخمت مناصب العمل في المؤسسات العمومية حتى لا تظهر البطالة، كما تخرّج من المدرسة الجزائرية والجامعات، قوافل من أصحاب الشهادات الجامعية، من غير أن تجد لها مكانا في المجتمع، فاختارت الهجرة لتجد مكانتها بين البشر، وأضحى ما يعرف بهجرة الأدمغة، من المواضيع الهامة في الكلام عن خسائر المجتمع، كما شيّدت قرى ومدنا مفتقدة لأبسط المرافق..

وذهب العهد الاشتراكي بحلوه ومره، وجاءت العولمة بإصلاحاتها، لتنتقد المرحلة السابقة، فتلعن الثورة الزراعية، وتدين ظاهرة الأعداد الهائلة من العمال القابعين في المؤسسات العمومية بلا مناصب شغل، فتسرحهم وتلقي بهم في الشارع، وجاءت الإصلاحات لتعلن للجزائريين أن الضمانات الاجتماعية التي كانت لم يعد لها كيان في واقعنا الجديد؛ لأن طبيعة العولمة الزاحفة تفرض قيما جديدة، وهي قيم لا تؤمن إلا بالقوي، فلا مكان فيها للفقراء والعاطلين، فما زاد عن حاجة المؤسسة من اليد العاملة يجب تسريحه، والشركة غير القادرة على الإنتاج تحل أو تباع؛ لأن طبيعة المنافسة المفروضة على البلاد في إطار التحولات الدولية سوف تضطر الجزائر إلى التفكير في التنازل عن أهم مواردها -المحروقات-، سواء بالبيع أو بالإيجار لمؤسسات دولية - الشركات متعددة الجنسيات.-

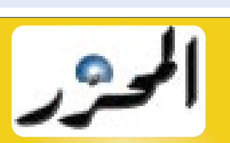
في كل هذه التقلبات والتحولات التي يشهدها الواقع الاجتماعي، لا دور للإتحاد العام للعمال الجزائريين إلا دور المسكن للأزمات، حيث لم يستطع التخلي عن دوره الذي كان عليه أيام الحزب الواحد، وهو الكلام عن الأجور والضمان الاجتماعي والخدمات الاجتماعية، وهلم جرا، بمعزل عن جوهر الأزمة، وهو ما يترتب عن ضياع هذه الحقوق التي يدندن حولها، في حين أن دور اتحاد العمال في حركة المجتمع، هو دور الشريك الذي يبحث عن الحل الناجع للمشكلات التي يفرضها الواقع الداخلي أو الخارجي؛ لأنه وإن كان المدافع الرئيسي عن حقوق العمال، إلا أنه يمثل العارف بالطرق الضامنة لهذه الحقوق، على اعتبار أن حركة المجتمع، حركة جدلية دائمة، فزيادة السكان ترفع مستوى الاستهلاك، وتوجب قدرا إضافيا من الضمانات الاجتماعية، وارتفاع مستوى الاستهلاك يفرض مستوى جديدا من الإنتاج، ورفع مستوى الإنتاج وكمه يوجب إحداث مناصب عمل، وتحسين الأجور، وإنشاء مؤسسات اقتصادية، وإنشاء المؤسسات ومناصب العمل وتحسين الأجور يتطلب موارد مالية، وجلب المال يكون بالإصلاحات الجبائية، والإصلاح الجبائي يتطلب ضمان امتيازات للمؤسسات الاستثمارية والمالية.. وهكذا، سلسلة من العمليات متداخلة لا تنفصل الواحدة عن الأخرى. واتحاد العمال مع الأسف لا يكاد يحدثنا إلا عن واحدة من هذه السلسلة الطويلة، وهي سلم الأجور، وكأن القضية محصورة في الأجور، في حين أن مشكلة الأجور لا يمكن أن تسوى إلا بالإصلاح الاقتصادي العام؛ إذ لا يمكن أن يكون لرفع الأجر قيمة إذا لم يكن له ما يوازيه أو أكثر منه في المؤسسة الإنتاجية؛ لأن الغلاء ليس دائما بسبب الندرة، وإنما يكون أيضا بسبب التضخم، أي عندما تكون االعملة رخيصةب، ورخص العملة يكون بسبب الأزمات وعلى رأسها ضعف الإنتاج.

فماذا يفعل العامل بالأجر المرتفع، إذا كان رفع الأجر مصحوبا بمضاعفة أسعار المواد واسعة الاستهلاك؟

إن الجزائر اليوم وهي تقطف ثمار ضعف التسيير التي ورثتها عن مراحل سابقة، مطالبة بالإصلاح على مستوى الفكر قبل الممارسة؛ لان الخسائر التي يمكن أن تصيب المجتمع، لم تعد محصورة في بئر بترول أو منجم، يباع أو يؤجر أو يؤمم، وإنما قد تكون الخسارة في إطار يهاجر أو رأسمال يهرّب أو مواطن بلا منصب عمل او أرض بور...، وكل هذه الأمور موجودة بكل أسف.

فالجزائر التي تتربع على مساحة قدرها أكثر من مليوني متر مربع، وفيها كل خير وأرضها تنبت كل شيء ومناخها بفصوله الأربعة وبموقع استراتيجي هام..، ومع ذلك يوجد فيها البطالون واليائسون والفقراء؛ بل بلغ فيها مستوى الفقر مداه، بحيث انعدمت الطبقة الوسطى التي كانت سنوات السبعينيات..

أين هو اتحاد العمال؟ وما دوره في وضع العامل على السكة، وعندما نقول العامل، نقصد كل العمال، وليس عمال الوظيف العمومي فحسب.



أسبوعية مستقلة شاملة

تصدر عن

"الهدهد للنشر والاشهار والخدمات الاعلامية"

رأسمالها 100.000د.ج

المدير مسؤول النشر:

لونيسي مبارك

المقر الإجتماعي :

حي الرياضات، عمارة ج رقم81 ، رويسو،الجزائر العاصمة